

ان رسالتنا هي انتم مكتوبة في قلوبنا . وقد
كُتبت لا بمداد بول بروح الله الحي (٢ كور ٣ : ٣)

الرسالة

للإنارة

اللاهوتانية الباسيلية المخلصية

تعتبر كمنطوق

الجزء الاول

٢٤ (٢٤٠)

الطبعة الرابعة

مطبعة دار المخلصين
بيروت لبنان

١٩٣٧



خوردس كنيسة دير المخلص مع الايكونستاس

الرسالة

السنة الرابعة

الجزء الاول

كانون الثاني سنة ١٩٣٧

رسالة عامة

الى جميع ابناء الرهبانية الباسيلية المخلصية

في

الفقر الرهباني

« ان كنت تريد ان تكون كاملاً فاذهب وبع كل شيء لك واعطه للمساكين فيكون لك كنز في السماء. وتعال اتبعني » (مت ١٩ : ٢٠ و ٢١) .

ابناء الاءاء المحرمود والافوة المحبوبود .

تحيات وادعية واشواق في يسوع المخلص .

تعود الينا الاعياد بيهجتها ومسراتها فتثير في قلبنا لاجع الشوق الى لفيق اخوتنا الذين نحملهم دوماً طي الصدر .
تعود سنة بعد سنة فتحف بنا المواسم الميلادية السامية الجميلة برموزها وحقائقها، واضعة امامنا مذود العطف الالهي وداعية ايانا

الى ان نزمقه بابصارنا فنتوسم فيه «الصبي الجديد»، الذي اعطانا الله ابونا، اخأبه نصير ابناً له، عزّ وعلا، وبه نصبح اخوة بعضنا لبعض. تعود الاعياد فتهيج فينا ذكرى اخوتنا المخلصين الذين تجمعنا واياهم اواصر المحبة ونسابة الارواح. فلا يخفف من ذكراهم مرورُ الايام ولا ينقص من الشوق اليهم بُعد المكان وتعاقب السنين. بل كأن تنائي المكان وتعاقب الزمان يزيدان القلب تحناناً اليهم ويوطدان النفس اكثر فاكثر في حبههم. وما ان يجل ميقات الاعياد التي تجمع قلوب افراد الاسرة الواحدة، حتى يستفزنا دافع قوي لنجمع نحن ايضاً قابنا ونفسنا، بما فيها من مختلف العواطف، الى قلوب ونفوس جميع اخوتنا الذين يخدمون اسم المخلص وكنيسته في اقطار المعمور. فهم يجاربون تحت رايته وسلطتها بصلاواتهم وتفانيهم وعيشتهم القشفة وجهادهم المتواصل وغيرتهم الوقادة على النفوس... يجاربون جنداً كراماً بالمحبة وكفى هذا املنا بكم ايها الآباء المحترمون والاخوة المحبوبون. فعسى ان تحققوه بافعالكم واعمالكم اومعاذ الله ان يجيد احدنا عن هذه الخطة الرشيدة خطة المخلص الذي تحملون انتم اسمه وتنتمون اليه. تلك متمنياتنا نعيدها كلما سنحت لنا سائحة للكتابة اليكم.

وبما انكم انتم فرحنا بالمخلص الكريم، نرف الى كل منكم خالص عواطفنا وكامل افراحنا مهنيين اياكم بهذه المواسم الخلاصية المقبلة، ولا سيما عيد القديس باسيليوس الكبير شفيعنا المشفع

ورأس السنة الجديدة، طالبين الى الطفل الالهي الذي «دعي يسوع» اي مخلصاً ان يجعلها مواسم حافلة بما تتمناه قلوبكم المحبة وترمي اليه نفوسكم الكريمة، مملوءة من كل بركة ونعمة لكم، ايها الاخوة الاحباء، وللأم الرهبانية.

نظرة الى مذود بيت لحم — ولكن هل نقدر ان ندع هذه المواسم تمر دون ان نلقي لحظة المتأمل المحقق بانظاره الى مذود بيت لحم والمتبصر بما يليق به علينا، نحن الذين اختصهم المخلص، من دروس وتعاليم؟ كيف نستطيع ذلك، وكل ما في حفلاتنا الطقسية من صلوات تسبي النفوس وتأخذ بجوامع الافئدة، يدعوننا الى التبصر والتروي، بل الى الدهش والاعجاب مما يشاهد في المذود من عجائب الاسرار وغرائب الامور التي تحار ازاها أبواب الجند السماويين وتُخلَب بها العقول العليا مدى الدهور؟

من وماذا يتجلى فيه — ففي احقر مظهر قد تجلى العظيم وحده، وصار طفلاً رضيعاً من هو رب الارباب و«الهنا قبل كل الدهور». فاي شيء ادل على الضعف من الاقطة واي مكان احقر من المذود والمغارة حيث اتخذ «صورة عبد» ذلك الذي هو «صورة الآب» وشخص ازيلته «فاشرق لنا غنى لاهوته من خلال ذلك الفقر المدقع. فهل بنا نحن ايضاً «ننظر» ونتأمل «اين ولد المسيح» فنعلم «عمق غنى حكمة الله ومعرفته» النلق، نحن ابنا، المخلص، نظرة على يسوع الطفل في هذه الايام البهيجة ولنفتح عيون عقولنا التي

قد يكون غشياً بعض ظلام العالم المحيط بنا ولنلج بافكارنا الى مذوده، فينبج لنا صبحه المنير ويطلع علينا من انوراه شعاع يسمو بنا الى الاعالي .

الدرس التي يلقيها علينا — اما التعاليم التي تسطع انواراً باهرة من مذود الطفل الالهي فهي اكثر من ان نحصيها . فان المذود يلقي علينا دروساً لا تستطيع فلسفتنا الى فهمها سبباً لها تسامت، بل تظل خفية عنا ان لم يعطنا يسوع عينه مفتاح سرها .

حسبنا منها درساً واحداً — حسبنا منها امثولة واحدة نتأمل فيها بامعان : الا وهي فقر المسيح السامي ومسكنته الكبرى . واذا ما تملأت نفوسنا من التأمل فيها ، فلنسع الى تحقيقها لاننا اخذنا على ذواتنا كمسيحيين وكرهبان وككهنة ان نقتدي بالخلص كل واحد حسب دعوته « وعلى مقدار موهبة المسيح » . فزى اولاً فقر المسيح — ثانياً فقرنا — ثالثاً كيف يلزمنا ان نكون فقراً . لنكون شبهيين بالخلص في ذلك .

اولاً — فقر المسيح

هو فقر مدهش ! — ان اول نظرة يتعرف بها الانسان الى هذا الانسان الاله هي نظرة دهش من فقر ليس له مشيل ومن مسكنة ليس بعدها مسكنة ، واذا ما اراد احد الاطلاع على حالته وحياته على ارضنا هذه ، فليتصفح الانجيل الشريف حيث

تُجمل بايجاز كلي بديع حياة يسوع وتعاليمه . فاول ما يُدهش له هو حالته الفقرية التامة حتى ليحسبه لاول وهلة إنه دون البشر اجمعين . ولكن لا يعتم بعد أعمال الروية ان يقر بترفعه وسموه على سائر البشر . واذا ما تابع بحصافة عقل متجرد عن الالهواء ، وباخلاص تام بعيد عن الاوهام ، وصل الى الاقرار بأن فقره يدل ليس على سموه فحسب بل على الوهته ايضاً .

هو فقر جذاب . — وكم من النفوس جذبها ويجذبها فقر المسيح ومسكنته اولن يزالا ياسران النفوس له ولخدمة انجيله ! ولا يسعنا الاسهاب لاثبات ما نكتبه اليكم ، ايها الاباء المحترمون . فانكم عارفون ذلك حق المعرفة . فليس لكم بعد سوى ان تلقوا لحظة على تاريخ الدين المسيحي الحق ، فيتجلى لكم ما نقوله اسطع من الشمس في رائد الضحى .

فكم سارت تحت راية هذا الفقر الوضيع ، بل السماوي ، من رجال عظام او كم هفت لتلك المسكنة نفوس شهمة كريمة حتى اتى عهد في عصور الكنيسة الاولى فيه عمّرت البادية الجرداء المقفرة وخلت المدن العامرة ، فتألف جيش فقراء المسيح الملتف كتائب كتائب ، الوفاً الوفاً ومئين مئين !

هو فلسفة القديسين ونشيد جهيم — بل كم من العقول السامية كلفت بهذا الفقر الامثل وجعلته فلسفتها العليا . وكم هفت لهذه المسكنة شعائر قلوبهم الحساسة بكل ما هو علوي سام على المادة ،

كما هي حالة الفقر الحقيقي فقر المسيح ا - وكم تغنى بتلك المسكنة شعراً، قديسون من ذوي الشاعرية الرقيقة ، فاوحت اليهم الطف واسمى ما نمقه قلم بشر وابدع ما جادت به قريحة انسان ا

انظروا الى أولي البلاغة والفصاحة من آباءنا وخطابنا كم ابدعوا في ما كتبوه وقالوه عن فقر المسيح ومسكنته ا انظروا الى من هام به من النفوس القديسة المترفعة عن المادة الا انه بقدر ما تتجرد النفس عن المادة اي بقدر ما تكون فقيرة حقاً ، تسمو وتتقرب الى العلويات ا وليس من غرضنا هنا تبيان مباينة التجرد للمادة وما ينشأ عنه من التسامي في علو الافتكار بالالهيات . فان الانسان كلما تقرب الى المادة انحط الى مقامها وكلما تجرد عنها علا وسما . وقد لحظ هذا الامر الفلاسفة اليونانيون وغيوهم ، ولكن بونا شاسعاً بينهم وبين فلاسفة التجرد الحقيقي الناسجين على مثال المسيح الذي افتقر لاجلنا وهو الغني .

كره المسيح للغنى برهان حبه للفقر - ومن اجلي بيان حب المسيح للفقر والفقراء ، وكرهه للغنى والاعنياء ، انه جعل الفقر شعراً خصوصياً وراية ينضوي اليها تباعه . حتى ان من رغب في التجرد له لزمه ان يكون فقيراً . فكان الغني لا حظاً له منه عز اسمه ، ان لم يرجع ويصز هو ايضاً فقيراً حقاً . ولذا فهو لا يغبط الاعنياء ، إلا متى صاروا فقراء ، فقراء بالروح : « طوبى المساكين بالروح . »

ولا يمكنه ان يجب الغني الحقيقي المتعلق بغناه واللاصق بالذهب والمادة . لان الغنى والمال يزاحمانه تعالى على العبادة الواجبة له وعلى التعلق به وحده ، كما صرح في انجيله الطاهر أن « لا يستطيع احد ان يعبد ريين لانه إما ان يبغض الواحد ويجب الآخر ، ويلتزم الواحد ويرذل الآخر . لا تقدرون ان تعبدوا الله والمال » (متى ٦ : ٢١ و ٢٤) . فالله والمال لا يتفقان ابدأ بل هما على طرفي نقيض .

اضرار الغنى - على اننا لا نفكر ان الغنى من منيح الله الكثيرة يجب استخدامها في سبيل البر لاجل الله ولكن ما اكثر الذين تناولوا العطية ونسوا المعطي وهامت قلوبهم بحب الذهب الوهاج فكان معثرة لهم وهلاكاً . يقول ابن سيراخ « ان الذهب اهلك كثيرين وازاغ قلوب الملوكة » (٨ : ٣) « كثيرون سقطوا لاجل الذهب فاضحى هلا كههم امام وجوههم . الذهب عود عثار للذين يذبحون له وكل جاهل يصطاد به » (٣١ : ٦ و ٧) . وما اشد وقع كلام المخلص في الاغنياء وما اثرل بهم من ويل وحرمان في كتاب حقائقه الموحاة ، في انجيله أن : « الويل لكم ايها الاغنياء فانكم نلتم عزاءكم » (لوقا ٦ : ٢٤) . وكل يذكر بأسف شديد مثل الغني والمسكين لعازر (لوقا ١٦) . ومثل ذلك الشاب الذي اشار عليه يسوع ان « اذهب وبع كل شيء لك ان كنت تريد ان تكون كاملاً » « فلما سمع الشاب هذا الكلام مضى حزيناً

لانه كان ذا مال كثير». فلما رآه يسوع قد حزن قال بحسرة تنمُّ عليها لهجته: «ما اعسر على ذوي الاموال ان يدخلوا ملكوت الله انه لاسهل ان يدخل الجمل في ثقب الابرة من ان يدخل غني ملكوت الله» (متى ١٩ ونوقا ١٨). ولا يمكن ان ننسى كلام رسول الامم الى تلميذه تيموثاوس عن «الذين يرومون الغنى فانهم يسقطون في التجربة والفتنة وشهوات كثيرة سفينة مضرّة تُفترق الناس في العطب والهلاك لان حب المال اصل كل شر». (١ تيمو: ١٠ و ٩)

وبالطبع لم يقصد المخلص ان يرشق بالويلات والقضاء الهائل كل الاغنياء، بل الذين يتعلقون بغناهم واموالهم حتى يجعلوا منها الهاً معبوداً تاركين الاله الحقيقي. فهو لآء. مردولون ومحكوم عليهم. ولمثل هؤلاء. قد وجه المخلص تلك الكلمات الرهيبة اعلى ان الغنى له فوائده الكثيرة وإلا لما اعطاه الخالق لابناء البشر.

وكفى بما اوردناه بيّنات وشواهد ثابتة. فانا لا نقصد ان نوضح لكم، ايها الاخوة الاحباء، في رسالتنا هذه اضرار الغنى والتعلق بالمال، ولكن ما نرمي اليه على الاخص انما هو التأمل في فقر المخلص المتدفق من المذود والناشر من مغارة بيت لحم اشعته على النفوس الكريمة منيراً وجاذباً ايها اليه، لتسير على خطته فتهتدي بهديه وتصير غنيةً به وحده. فمن احب التقرب اليه وجب ان يكون او يضحى فقيراً.

المسيح مارس الفقر حياته كلها - ولم يكن المسيح فقيراً في مذوده فقط ، بل كان مسكيناً كل حياته . وُلد في اقصى حالات الفقر وعاش مسكيناً « ليس له موضع يسند اليه رأسه » ، ومات موت أبناء المساكين عازياً على خشبة العار . فكأنني به يبدأ فقره في المذود ويتابعه بالمسكنة كل ايام حياته الى ان يكمله ويبلغ اقصاه على الصليب ، حيث قرَن الفقر المدقع بالعار الاقصى . وهذا العمري اكمل فقره يمكن تصوُّره . فالفقر وحده شيء مقبول وقد استهوى بعض الفلاسفة في سالف الزمان ، ولكن ان زيد عليه العار والازدراء ، والنبد والهوان تعوَّذت منه النفوس كما تتعوَّذ من شبح مُنكر فظيع الشكل اما يسوع فأحب الفقر على تلك الصورة واحب الفقراء فكانوا نصيبه ولم نعلم انه تشكى من فقر ومسكنته او تجنب معاشرَةَ الفقراء البائسين .

فقر المسيح دلالة على غناه وبرهان على الوهته — بل ان فقر المسيح دلالة واضحة على غناه الحقيقي . فانه غني عن امثالك الاموال وما يضاف اليها من الوجاهة الخارجية والفخر والمجد ، لان الاغتناء بها هو عين الفقر ، فانه يدل على الحاجة اليها والحاجة برهان النقص والفقر والعوز . فاذن فقر المسيح المطلق يدل على تنزهه المطلق عنها . ولا بدع اذا ترفع ، عز وجل ، عنها وعن الالتصاق بها لانها عدم زائل وهو الوجود الثابت . وتجرده هذا المطلق ومسكنته القصوى برهان مقنع على الوهته . ولا يند عن ذهننا ان تجرده

وفقره لا يُباريان ولا يُدانيان، بما ان تجرد المسيح هو تجرد الله ولو لبس جسداً. اما الانسان، مهما اغتنى، فهو فقير ابداً لانه ليس بغني عن المادة فغناه اذاً بها ولا يمكن ان يكون غنياً في الحقيقة. وانما الغني الحقيقي هو من ترفع عن المادة ولم يكن بحاجة اليها. فسيان عنده وجودها او عدمه.

فقر المسيح معين غنى لنا - وحرى بكل اعتبار ان فقر المسيح، الذي ابتداءً في مذوده واستمر ايام حياته كلها وتم على الصليب، قد اضحى معين غنى لنا بل مبدءاً غنانا الحقيقي، غنى الترفع عن المادة والنزوع الى ما يفوقها ويسمو عليها، غنى افراح التجرد ومسراته، غنى ذلك السلام الداخلي والنعيم الباطني الصميم الذي لا يذوقه الا من سعى وراء التجرد ونال حظاً وافراً من الاعراض عن المادة وعن اجتواء الذهب اللامع الخلاب. وعلى الجملة، غنى الغبطة والسعادة الخالدة والنعيم السماوية والبركات الغزيرة، التي وعد بها من ثبت على اتباعه في طريق الفقر الاختياري.

ذلك هو فقر المسيح ومسكنته، ايها الاباء المحترمون والاخوة الاحباء. وقد اخذناه موضوع بحثنا العمومي في هذه الايام خاصة ليس لنقتصر على التعجب منه بل ليكون هدف وقبلة اشواقنا وآمالنا ومثال فقرنا ومشجعاً لنا عليه.

ثانياً - ففرنا

ولنأتِ الآن الى الموضوع المختص بنا ولنبحث في فقرنا الخاص . وهو لعمرى موضوع يجدر بنا ان نتأمله ونعيد فيه النظر حيناً بعد حين . لندخل الى نفوسنا فاحصين بتبصر عن هذه الفضيلة الاساسية ، شأن الراهب القانت الناشد الكمال والطالب له يجد واهتمام والعامل على الاتّسام به بقوة من دعاه . فان التبصر في هذه الامور وامثالها بحسب روح المخلص يكشف لنا القناع عن نقصنا فيها ويحثنا على المبادرة الى إصلاح هذا النقص وعلى الثبات في ما قد يكون فينا بنعمة الله من كمال . ولكي تتضح لنا هذه التعاليم جلية وتأتينا بفائدة اعظم ، رأينا من الاوفق ان نفصل الكلام الى كلام مجمل على الفقر عموماً كفضيلة والى كلام مسهب على الفقر كندر ، آتين على بعض التفصيل في هذا الجزء ، الاخير لانه موضوع بحثنا الخصوصي .

١ : الفقر عموماً - فضيلة الفقر

الحجة مُرتكز وغاية الشريعة - ان مُرتكز الشريعة كلها هو المحبة وهي الدافع الى حفظها بل هي الحافظ الامين والمشجع الاقوى على الثبات فيها ، عندما تلم الخطوب والاطار وتردحم الصعوبات والموانع . وكما انها مُرتكز الشريعة هي ايضاً غايتها ، وقد خصها الحب المتأنس بان تكون مُرتكز عهده الجديد وحياة حياته . وما

الحب إلا حياة ولا حياة حقة إلا في المحبة . فهي اذن الشريعة كلها وبها قوامها وهي المبدأ الدافع والقوة الحافظة والغاية المرمي اليها . فكل ما عاكس هذا المبدأ وكل ما حاول إضعاف هذه القوة او حصرها وكل ما رمى بها الى غير وجهتها وجب نزعها واستئصالها . وبالجملة كل ما من طبعه ان يُنجَل هذه الحياة او يُضنيها متهدداً باخمدانها وجب ابعاده بل هدمه . فالغنى وما اليه والثروة وما تورثه من جاه ونخفخة من طبعهما ان يحولاً بجرى الحب اليهما فبِعَرَضٍ ان الانسان الى فقد تلك الحياة العليا التي هي الحياة الحقة الحريّة بهذا الاسم السامي ، اذ يميل قلبه الى غير ما خُلق له جاعلاً الواسطة غايةً والغاية واسطةً .

الحبة لا تنشطر — وغنيٌ عن كل بيان ان الحب الحقيقي لا يمكن شطره او تجزئته ، ولا سيما اذا التزم الانسان ان يبلغ اقصاه كما في التزامه بحب خالقه حتى العبادة ودون سواه . ويؤيد ذلك المبدأ علم النفس عينه ، كما يشهد كل من غاص بالتبصر في معرفة مختلف الالهواء البشرية وتعمق في داخل قلب الانسان فسبر اسراره . وحسبنا شهادة الحق بالذات جابل هذا القلب وفاحص طبياته . وحكمه في الامر حكم لا مردّ عليه ولا تمييز فقد اكّد ذلك بقوله الذي اوردناه سابقاً : «لا يستطيع احد ان يعبد ريين .» اذن لا يستطيع ان يسود اثنان على قلب الانسان ، فلا بد ان يبغض الواحد ويحب الاخر ويلازم الواحد ملتصقاً به ويرذل الاخر معرضاً

عنه . وكلُّ يُذكر قوله الشهير : « ان لم يرفض كل واحد منكم جميع امواله حتى اباه وامه واخوته واخواته فلا يستطيع ان يكون لي تلميذاً » (لوقا ١٤ : ٣٣) اي انه لا يستطيع ان يكون في مدرسة حبي .

ولا يناقض واجب المحبة للقريب ما قررناه من وجوب توحيد المحبة وحصرها في الله وحده دون غيره من الخلائق . فان محبة القريب ليست الا من محبة الله وهي ايضاً ان لم تُعد اليه ، تبارك اسمه ، كإلى مبدئها الاوّل وغايتها القصوى ، تصبح محبة مردولة ، ولا نستطيع ان ندعوها محبة حقيقية . فكل حب منه وله واليه وإلا فليس جديراً بان يدعى كذلك . ولا نقصد من كل ما تقدم إلا ان نبين وجوب عدم التعلق بشي . مما لنا ، وتجريد القلب من كل ما هو احط من موضوعه ، وتحريره من عبودية الخلائق . فاذا ملك شيئاً منها فكأنه لا يملك شيئاً ، فيملكُ ولا يملكُ ، لانها له وهو ليس لها . وهكذا يُحفظ انتظام الخلائق الذي سنّه الخالق اي ان تكون الواحدة للاخرى وكلها للانسان والانسان له عزٌ وجل .

اذن فالتجرد من حب المخلوقات ووقف المحبة لله وحده هما ضروريان الكمل من اراد بلوغ غايته الاخيرة ، ولا تُنال غاية إلا بالتصاق القوى التي خُلق لها . تلك شريعة عمومية وامر شامل واقل ما يطلبه الخالق من خلائقه الناطقة .

فضيلة الفقر — وهذه هي فضيلة الفقر التي تقوم بالتجرد عن الخلائق الخارجية لئلا يتعلق بها بالانسان . وغايتها تحرير القلب والنفس من هذه الخلائق تحريراً حقيقياً داخلياً . وفضيلة الفقر هذه هي فضيلة مسيحية ، اذ يجب ان تكون بالمسيح يسوع ولا يمكن ان تكون بسواه ولا ان تكون فضيلة حقيقية بمعناها اللاهوتي . لان مُرْتَكِزَهَا ، كما قلنا ، هو المحبة العلوية المؤسسة على كلام الله ومواعيده . بهذا يتميز المسيحي المتجرد عن الفيلسوف السائر بما يوحيه اليه مجرد فلسفته . فالفرق بين بين المسيحي الفقير الحقيقي وبين الفقير الطبيعي التابع حكمته الطبيعية مها تسامت وعلت . الى هنا يقف حظ المسيحي الاعتيادي .

٢ - نذر الفقر

لم يكتب المخلص باعطاء الوصايا — الا ان المخلص الذي اتى ليكملنا ويقودنا بتعليمه وعمله الى اسمى الدرجات لم يكتب بالشريعة العمومية الشاملة ، ولو انها لا تخلو من الصعوبات لما فيها من مناوأة الطبيعية ومعاكسة ميولها ولما تقتضيه من جهاد عظيم ، كما يعامنا الاختبار ، بل قد شاء ان ينتقي البعض من طلاب مدرسته العليا ، فحفظ لهم درساً عالياً يلقيه على الجميع عموماً وعليهم خصوصاً . ومن عادة المعلمين العظام ان يختاروا من تلاميذهم من هم اكثر

تقرباً اليهم، فيُعَوّن بتهديبهم تهذيباً اكمل الى ان يصبحوا بدورهم معلمين على تلاميذ الايام .

بل اعطى المشورات - وكان يليق بهذا الصديق الالهي ان يُدلي الى احبائه ببعض نصائحه ومشوراته حافظاً بعضها للمقربين اليه منهم ، كان يليق به ذلك « وقد استقر عليه روح الحكمة والفهم وروح المشورة » (اشعيا ١١ : ٢) . واي صديق صادق لا يحفظ مشورات ودية لاصدقائه ؟ ونحن بحاجة الى مشوراته لتسيرنا في ظلمتنا وتعرفنا طرقة وترشدنا في سبيله القوية الى ان نصل الى الكمال المنشود . فوصاياهم قوتنا ورا دعنا كما انها سيفنا وترسنا . اما مشوراته فهي نورنا وهادينا الى كمال الوصايا . ان الوصايا هي مرتكزُ الناموس الجديد وعهده . اما المشورات فهي كمال الوصية . ولا يخفى على احد الفرق بينهما ولا سيما من حيث الالزام المطلق وعدمه . بيد ان المشورة يجب اعتبارها ولو لم يجب اتباعها . فلا احد يستطيع ان يحتقرها دون ان يضرّ بنفسه .

المشورات كثيرة واخصها ثلاث - واذا ما طالعنا الانجيل المقدس نرى انه يحوي عشرات من المشورات واخصها ثلاث قد أرجعت اليها الام الكنيسة « عمود الحق » سائرُ المشورات التي يجوبها ادبها وحصرتها في الفقر والعفة والطاعة ، داعية اياها المشورات الانجيلية لان اساسها الانجيل نفسه . وقد استوحت تقسيمها هذا من قول الرسول الحبيب في رسالته : « ان كل ما في العالم هو

شهوة العين وشهوة الجسد ونخر الحياة». وهذه الحقيقة البديعة مرتكزة ليس فقط على الحق بالذات الذي اوحاها والهمها لرسوله بل على الفلسفة النفسية ايضاً .

ان اهتمام الانسان يُحصَر عادة في ثلاثة امور : الاهتمام في الحاجات الخارجية لحفظ حياته المادية وهذه شهوة العين - الاهتمام بالاسرة وتأسيسها وهذه شهوة الجسد - اخيراً الاهتمام بمصالحه الشخصية وهذا ما يدعوه الرسول نخر الحياة. الا ان هذا الاهتمام كله لا يناقض الوصية اذا كان بموجب ما يقتضيه العقل السليم وضمن حدود الوصية . ومتى تم في كل اهتمام هذان الشرطان سلمت الوصية وحفظ البر والعدل الضروريان للخلاص . وهكذا تصان المحبة ايضاً .

المشورات تحررنا من عبوديات الحياة - ولكن هيئات ان يُتِم الانسان هذه الشروط ويحفظ البر والعدل صائناً للمحبة ، لان مهام الحياة وعبوديات المعيشة تقف سداً حصيناً دون المحبة ونائها ، فتوقفها عن السير نحو الغاية واذا سارت اليها فبصعوبة وعناء . وقل ان تجد رجالاً اقوياء ، يقتحمون الحياة بهذه العزيمة الصادقة . فيجب اذن تدمير هذا السد المنيع وفك أسر هذه العبوديات وتخفيف هذه المهام . لذلك فقد اوجد لنا المخلص في المشورات الانجيلية سلاحاً يحرر النفس ويفسح لها بالصعود في طريق الحب رويداً رويداً نحو غايتها مطرحة هذه الاثقال المرهقة فتصير سيده مطلقه .

وبفضل هذه المشورات ، التي هي نعمة عظيمة ، يُضمن النصر الاخير المبين . وقد حصرها المخلص في تعليمه الالهى بثلاث فضائل وثلاثة نذور : الفقر والعفة والطاعة .

الفقر الاختياري - ولما كان همُّ المعيشة والعناية بالجسد والامور المادية هو الهمُّ الاول للانسان ، كان ايضاً الحاجزَ الكبير بل اول الحواجز دون بلوغ الغاية . ولكن مشورة الفقر الانجيلي ، ايها الاخوة المحبوبون ، هي القوة العظيمة التي تصدم بها هذا الحاجز وتدمره .

طبيعة الفقر - فضيلة الفقر - ما الفقر إلا ذلك التجرد عن الغنى وما اليه حباً لله الخير الاعظم الاوحد . على ان كل مسيحي بل كل انسان لا بد له من بعض التجرد ، ونعني به التجرد الذي به يقتلع التعلق بالمادة وما اليها ، ذلك التعلق الذي يبنى الغاية القصوى ويجول دون الوصول اليها ، كما اشرنا اليه سابقاً . فبهذا التجرد يكون القلب بمعزل عن الالتصاق بالمادة والغنى ويتصرف بها الانسان كواسطة خلقها البارئ ، عز وجل ، للقيام بمقتضيات الجسد وليس كغاية يضع فيها نعيمه . فيكون القلب حراً وهورائع في الغنى ، ويستعمل الانسان هذا العالم كانه لا يستعمله (١ كو ٧ : ٣١) . هذا ما نقدر ان ندعوه فقر الوصية وهذا ما نقدر ان ندعوه فضيلة الفقر التي يلتزم الجميع بممارستها واقتنائها ولو بدرجات متفاوتة .

نذر الفقر والفرق بينه وبين الفضيلة — ان القدر الذي تكتفي به الوصية من فضيلة الفقر هو دون ما تتقاضاه المشورة والنذر الذي يقوم ليس بالتجرد فقط بل بالتخلي الفعلي عن الملك وتوابعه . على ان الوصية والمشورة لا تبلغان الى اقصى حدود فضيلة الفقر ولا تستنفدان كل معانيها . فللفضيلة والمشورة موضوع واحد ولو انهما شيئان مختلفان . فان الفضيلة غاية النذر والنذر واسطة لممارستها بطريق أكمل .

ثم ان النذر اقل شمولاً واتساعاً من الفضيلة . فهذه تسعى الى اقصى الكمال ، والنذر كنذر ينحصر ضمن دائرة المتوجب . ولا نعني بذلك ان النذر بذاته واجب يلزم الاقدام عليه . بل انه يسي متوجباً بعد الاقدام عليه . فيمكن اذن خرق حرمة الفضيلة دون خرق حرمة النذر الذي يقابلها . ولكن متى خُرقت حرمة النذر خُرقت حرمة الفضيلة ايضاً . فترون ، ايها الاباء المحترمون ، ان النذر ليس الا حصناً منيعاً للفضيلة وسلاحاً قوياً يذلل صعوباتها وترساً واقياً يصد الموانع التي تحول دونها ودون البلوغ الى كمالها . وبما ان النذر ليس هو الا واسطة ، كما قلنا ، وبعكسه الفضيلة ، فانها غايته ، نتج من ذلك ان الفضيلة ثابتة خالدة حتى في الحياة الاخرى حيث كمالها الاقصى . اما النذر فوقي زائل يدوم دوم الحياة الدنيا . ولكي تصل الفضيلة بالنذر الى الكمال الاسمي وتنال هذا الخلود ، ينبغي ان ينشأ النذر عن حب الخير الخالد وان يكون التجرد

والتخلي عن الدنياويات بالنذر لهذه الغاية العليا ، اي ان يشاها تجرد
وتخلي المثال الاعلى يسوع المسيح ، الذي لاجله وحباً له يجب ان
ننذر . والأيسي فقرنا فقراً فلسفياً تنفضه الكبرياء ويدفع اليه ذلك
الازدراء المتعجرف الذي هو رذيلة وليس فضيلة . وقد صرح
المخلص عينه انه لاجله يلزمنا ان نترك كل شيء ، ونتبعه ، كما نعلم
كلنا ، ايها الاخوة المحبوبون .

درجات نذر الفقر وكالها - ولا يخفى على احد ايضاً ان النذر
كالفضيلة له درجاته . وهذه الدرجات تُحدث نذوراً مختلفةً في
الكنيسة وتنشأ عنها جمعيات متميزة متفاوتة حسب درجة النذر .
وهذه الدرجات متأتية اما عن المدة فتكون وقتية ام دائمة ، واما
عن امتداد التجرد والتخلي فتكون النذور شاملة او محصورة .
واكمل هذه الدرجات ، وبالتالي هذه النذور ، هي الدائمة والشاملة ،
اي تلك التي نتعهد بها طول الحياة ونتجرد عن كل ملك شخصي
حتى عن استطاعة التملك . وبهذا التنازل التام والكفر حتى
بأهلية التملك ، نمسي متجردين تجرداً تاماً . فلا نستطيع ان نقنتي
او نقبل او نعطي شيئاً ما . ونمسي كاموات غير قادرين على اتيان
اي فعل كان . هذا نذرنا نحن وهذه درجتنا . وقد اخترناهما
بملء ارادتنا واقدمنا عليهما بتمام حريتنا دون ان يقتسرننا احد على
هذا العمل السامي .

ثالثاً - نتائج نذر الفقر واسباب ممارستها

مسؤولية هذه العهود والسعي في اتمامها - هات الان ولنبحث في نتائج نذورنا. ان النذر ياتي على عواتقنا الزامات لا بد لنا من حفظها ، اذا شئنا ان نحافظ على فضيلة الفقر بالنذر وان نصعد علواً الى قمم كمالها. فما المنفعة من نذرنا اذا كنا لانتم التزاماته؟ وما الفائدة من اخذنا مسؤولية كهذه ان لم نسمع سعياً حثيثاً في القيام بها؟ فخير لنا ان لا نكون قد تعهدنا من ان نتعهد ولا نقوم بالعهود. ومن الواضح ان كمالنا وقداستنا وخلصنا تتوقف على القيام الجدي بهذه العهود المقدسة ، وعلى القيام بهذه العهود يتوقف انجاز وعد المخلص الكريم القائل: « اننا نأخذمئة ضعفٍ في هذه الحياة » و« نرث الحياة الابدية » في الاخرة (مت ١٩: ٢٩) .

الزاماتها تنحصر في قاعدتين - اما الزامات هذه العهود فتتخصر عملياً في قاعدتين عمومية وخصوصية . فالعمومية هي التزامنا بحفظ نذر الفقر داخلياً وخارجياً بموجب فرائض جمعيتنا . فكل مرة نخل داخلياً ام خارجياً بهذه العهود وكل مرة نعيد عن قاعدة التجرد المطلوب بالنذر، نرتكب خطأ خفيفاً ام ثقيلاً مميّتاً ام عرضياً على نسبة المادة او بعض الظروف التي قد تلبس الفعل خفة ام ثقلاً . وقد قلنا ان هذا الالزام داخلي وخارجي معاً دون ان نفصل كلا الصفتين الضروريتين للقيام الكامل بفضيلة الفقر ونذرهما . والا

امست الفضيلة رثاءً والنذر خيالاً وهمياً لا حقيقة له . فلا يمكن
الراهب ان يتعلل بالمحافظة على نذره في الداخل فقط او في الخارج ،
ولو اختلفت هاتان الصفتان في الاهمية والافضلية .

اما القاعدة الخصوصية فلا بد ، تعميماً للفائدة ، من ان
نطرقها ببعض الاسهاب في معنى النذر الخاص بنا . كلنا يعلم ان
نذورنا التي ابرزناها هي نذور احتفالية . ولعمري ان ذلك انعام
ونعمة خصوصيان حصلت عليهما جمعيتنا وبهذا رفعتها الكنيسة
الى رتبة الجمعيات العليا اي الى رتبة رهبانية بجزر المعنى وليس
الى مجرد جمعية فقط . فان الفرق بينهما عظيم نظراً الى الانعامات
التي تمنحها الكنيسة والى النعم التي يحفظها المخلص لمثلها . ان ذلك
لشرف سام حريٌّ بان يعتز به من رُفع الى هذا المقام الرهباني
الاسمى .

فاذن قد حُرمانا نحن بنذورنا وعهودنا حق التملك والتدبير
والاستعمال . وهذه كلها امست متعلقة بالجمعية وبالسلطة العليا فيها .
فليس لنا بعدُ ملك كأفراد بل الملك وما يتأتى عنه من حقوق
وتبعات امسى للجمعية . ففينا يتم كلام القديس بولس : « كانا
فقراء ، ونحن نغني كثيرين ، كانا لا شيء ، لنا ونحن نملك كل شيء . »
(٢ كور ٦ : ١٠) . ويتوجب على السلطة ان تحافظ على هذا
لاساس وليس لها ان تتعداه . فكل فرد اذن يجيد عن هذه

القاعدة ويدعي حق الملك او التصرف والاستعمال فهذا ليس
براهب ، بل قد كفر بعهوده ونكث بوعوده المقدسة .

ومما يجدر ملاحظته والانتباه اليه أن العادة لا تقدر ان تغير
الامور ولا ان تهدم هذا الاساس بقوة الاستحلال ، لانه لا
استحلال في جوهر الاشياء . فعاذ الله ان نبقى مصرين على بعض
الافكار الشخصية ومتعلقين ببعض ما هو عندنا كأنه لنا او كأن
لنا الحق المطلق على التصرف به حسب ارادتنا وفكرنا ، غير
مراعين عهود نذرنا ولا مبالين بما يتطلبه منا ولا حافلين بالسلطة
التي تنبهنا الى هذا الامر المهم . فاننا حينئذ لا نقدر ان نكون
رهباناً حقيقيين وانما نحن شبه رهبان . ولا سمح الخلد ان يصير
احدنا على هذه النظرية الفردية الفاسدة المضرة بالنفس ، لانها
تفقدها الروح الرهباني وتحرمها نعم الخلد وبركته التي يدرها
غزيرة على من اتبع نذوره وحفظ عهوده . وقد شرحنا بكفاية في
رسالتنا الاولى اسباب تسرب هذا الخلل الينا وبيننا ملياً كيف
صار التدرج الى سوء استعمال ما بين ايدينا . ولا نتصور ان راهباً
حقيقياً يُججم عن اصلاح ما يعلمه غلطاً وحائداً عن الخطة القوية .

السعي وراء كمال الفضيلة بالنذر — بما ان النذر ليس الا ترساً
للفضيلة وحارساً لها ودافعاً الى التكمّل فيها ، كما سبق القول ،
وجب على من تسلم به ان يلقي به الصعوبات التي تصادم

الفضيلة وان ينازلها ليظفر بالكمال المنشود . وهذا لعمري اول
واقدم واهم واجب للراهب الحقيقي ، عنيت به السعي ورآء
الكمال بكل اعماله متذرعاً بكل ما يوليه النذر من مختلف
الوسائط التي يجدها في الجمعية او الرهبانية التي ارتبط بها . ففيها
تتوفر له كل الوسائط اذا ما رغب في السير حسب فرائضها
وقوانينها ، بل تكون له هذه الفرائض والقوانين اقوى الوسائط
وافعلها . فان ابى الا النكوص والهرب من مبارزة الصعوبات
عُدت ارادته رغبة وهمية . فتصدق فيه كلمات الكتاب الالهي عن
الكسلان ان « رغبته تقتله . . . النهار كَلَّه يرغب ويتمنى »
(ام ٢١ : ٢٥ و ٢٦) .

نموها بالافعال اليومية — ولكن لا حياة لهذه الفضيلة ولا نمو
لها وفيها ان لم يعمل بها ، فالعمل يعطيها الحياة والافعال اليومية
تنميتها وتنضج ثمارها . ولا نتصور ان هذه الحياة او هذا النمو
والنضوج تتم وتقوى بالافعال الكبيرة لا غير ، او بتلك الافعال
التي تقتصر بها على اتمام جوهر الفضيلة على مقتضى النذر . بل
انها تتقوى وتنمو على وجه اخص بالافعال الصغيرة ، التي لها اهمية
كبرى في حفظ الحياة وانماؤها وانضاجها . فكيف نكتفي والحالة
هذه ، بان نحافظ على ما هو ثقيل في النذر وان نتجنب ما
يعاكس جوهره غير حاسبين حساباً لما هو طفيف منه او لما يؤول
الى كمال الفضيلة والنذر ؟

بل يجدر بنا ان نتجرد حتى عمّا يظهر لنا شيئاً يسيراً ، اذا شئنا النموّ في كمال الفقر الرهباني . فهذه خطة كرام النفوس التي تطمح الى الصعود المتواصل بكبد وعناء ، ولا تحفل بمشاق ولا باتعاب في ارتقائها الى معارج الكمال . ولم نعدّ ذواتنا من صغار النفوس مع اننا قادرون ان نكون من كرامها؟ لذلك يليق بنا ان نتجرد حتى عن الفاضل والنافل مكتفين بالضروري والكافي لحالتنا ، ناظرين في تجردنا هذا الى المثال الاعلى ، الى المخلص ، والى من حذا حذوه في طريق الفقر الاختياري . ولا حاجة الى ان ندخل في تفصيل الامور او نبين دقائقها ، فاننا نعهد روح المخلص قوية فيكم ، ايها الاخوة المحبوبون ، كما نعهدكم ساعين ورآء . حفظ الفقر الاختياري بهذا الروح عينه . وما احراانا ان نتشبه بالمخلص في فقره عند ما تنقصنا الحاجات الضرورية او الكافية . وقد قال احد مشاهير الكتاب الروحيين المعاصرين :

«C'est le propre des âmes sans amour de vouloir être à l'aise partout, même dans le service de Dieu.» (G. Lagrange, Vie spirit. C, 39, No.3, Juin, 1934, p. 272.)

هكذا عاش القديسون الذين زهدوا في العالم وما فيه واتخذوا الفقر طريقاً للوصول الى الله . فلنكن ابناءهم وحسبنا .

هنا النفس الفقيرة — وماذا نقول عن حالة نفس ذاك الراهب الذي يسير على هذه الخطة قدر استطاعته ؟ اجل لقد ترك كل شيء ،

وتبع المسيح . ولكن من يصف تلك الراحة الداخلية التي تذوقها نفسه وهزة الطرب الروحي التي تأخذها ؟ . ان ذلك الهناء هو نتيجة تجرده التام وتنزهه الكامل . ثم ان هذه الحالة الفقرية تنشىء في النفس تلك الثقة البنوية التي بها توقن ان المخلص لا يسمح بان يعوزها شيء ، وكأنها تسمع دون انقطاع كلماته الالهية لتلاميذه : « واذا رسلتكم بلا كيس ولا عصا ولا حذاء فهل اعوزكم شيء ؟ » (لو ٢٢ - ٣٥) . وان سمح بان يعوزها احياناً شيء ما ، فلتفرح حينئذ لانها تصير اقرب شبيهاً به . وذلك لعمرى نعمة من فيض حبه الشديد لها ! ثم فلتتذكر هذه النفس الكريمة كم من اناس في العالم يصبرون على العوز وعلى حال الفقر الشديد وهم لم يتعهدوا باحتمال هذه الحال بنذور مقدسة او ما عوزها بالنسبة الى عوز كثير من الفقراء ؟ وما معنى هذا الفقر الرهباني اذا كانت لا تشعر معه بحاجة او كان يوفر لها كل اسباب الراحة او اهمها ؟ اهذا معنى التجرد الذي به هجرت العالم وتبعت المسيح الفقير المعوز ؟ اتركت العالم حتى لا ينقصها شيء ، في الرهبانية ؟ كان خيراً لها لو لم تهجر العالم ! على ان معيشتها في الرهبانية هي عادة احسن واجمل وفيها تجد ما لا تجده في العالم .

وبما ان ثقة هذه النفس البنوية هي عظيمة جداً فهي لا تهتم بمسئلتها ، عالمة انها بين يدي الله ابيها وعلى ذراعي المخلص . فهي آمنة واثقة بمواعيده . فكم يأخذنا العجب كل العجب اذ نلاحظ

ان الراهب يفكر احياناً في مستقبله المادي كانه في خوف لاجله! فهو يهجم به كاحد العالميين ويضع هذا المستقبل عقبة كئوداً في سبيل كمال الفقر وحياناً في سبيل الفقر فقط. فتراه يجب ان يجني لآخرتة وينذر لايام السوء والعوز على ظنه أو ما كان الاجدر به ان يتابع السير في روح التجرد عن كل حطام الدنيا الفاني وان يتقدم فيه على مقدار تقدمه في الايام الى تلك الاخرة؟ فنعيذ نفوسكم الكريمة، ايها الاباء المحترمون والاخوة المحبوبون، من هذا الخلل العظيم ولا سمح المخلص ان نقع في هذا الشرك الذي ينصبه لنا ضعفنا وقلة فضيلتنا.

الاسباب الدافعة الى الفقر الانجيلي وممارسته

بقي ان نقول كلمة موجزة في الاسباب التي تدفعنا الى ممارسة الفقر الاختياري وانتحال حالته الملائكية. نقتصر بذلك على اخصها واجلها.

السبب الاول - قال الاقتداء بالمسيح - ان حالة الفقر هي الحالة التي اختارها المخلص، كما تقدم الكلام. وهي مناسبة كل المناسبة لغاية ظهوره بالجسد على الارض ولطبيعة ارساليته الالهية. فخالته هذه اذن تجذب اليه ضرورة تلك النفوس التي تنتمي اليه وتعتبره رأساً لها. ففي هذه الحالة صار هو مثلاً للجميع بدرجات متفاوتة، اذ ان بعض هذه النفوس ترغب في التقرب اليه اشد تقرباً فلا بد لها من انتحال حالته. ويزيدنا عجباً من حالة فقر

المخلص انه اختارها على غيرها مع ما يتبعها من مشقات واحزان .
«فانه بدلَ السرورِ الموضوع امامه تحمّل الصلْب» (عبر ١٢: ٢) . بل
شدّ ما كان تعجبنا لو انتحل المخلص حالة الغنى والمجد والفرح . . .
كما كان يتصوره اليهود ومعاصروهم .

مفاعيل فقر المسيح — انه بالفقر قد خلص العالم وحرّره من
عبودية المادة . بالفقر كُفّر عن الخطايا غير المحصاة التي يدفع اليها
حب المال والغنى . بالفقر اقتلع شهوة العين الطامحة . بالفقر قدس
صفوفاً لا عدّها من النفوس . بالفقر أثارها . ظهر لها بفقره
السامي الجذاب ، فجذبها اليه خاشعة لهذا الفقر الاقصى الذي
دفعه اليه حبه الاعظم . وما زال فقره يفيض هذه النعم ويأتي
بهذه المفاعيل العجيبة ، وما زالت الكنيسة تواصل السير على
خطته . وليس علينا الا ان نلقي نظرة الى عالمنا الحاضر الذي امسى
عبد رقي للمادة ، فنتحقق صحة قولنا هذا .

بالفقر نساعد المسيح — ولما كان المسيح قد أتى هذه المدهشات ،
نتج ايضاً أن من يتبعه في خطته هذه المثلى يأتي نفس المفاعيل .
فمن انتحل الفقر حالة خصوصية له ، كان اقوى مساعد للمخلص في
خلاص النفوس ومصالحتها مع الله الآب . فان الذين انتحلوا هذه
الحالة قد خلّصوا العالم من ضربات كثيرة . وها تاريخ الكنيسة
الحافل بالمؤسسات الرهبانية الكثيرة شاهد عدل على هذا
التصريح . بل ان الفقراء بالروح الحقيقيين قد خلّصوا الكنيسة

عينها . ويا ليت هذه الروح الانجيلية تنتشر فتحيا عالمنا الحاضر المضطرب لتعبده للمادة . واذا كنا نراه على شفا انقلاب تاريخي هائل ، فذلك لانه فقد هذه الروح المحيية ، فلا حياة له بدونها بل هو مائت لا محالة . فليرجع الى هذا الروح ، تعذ اليه الحياة نشيطة قوية . حينئذ يستتب الامن ويسود السلام وتوجد الأخوة الحقيقية في المسيح يسوع ، تلك الأخوة التي ينشدها عبثاً دعاة الاشتراكية والشيوعية ويتغنى بها أعداء الدين بكذب وخداع . فليس من أخوة في اتباع مبادئهم الفاسدة التي نفت الأخوة الحققة وأبادتها وهدمت أسسها وقلبت اركانها . نعم ليرجع العالم التائه في غي عبادة المادة الى هذه الروح فتتغير حاله وتسمي ارضنا باب السماء .

السبب الثاني - التشبه بالله وبالقديسين - وان كان الفقر يجعلنا من ممائلي المسيح فهو يصيرنا شبيهاً بالله . فانه تعالى غني وفقير على حسب اعتبارنا اياه . فان نظرنا الى ما يجذبنا من هذه الامور الخارجية الدنيوية كالمال والنضار... فلا افقر منه تعالى . وفقره على قدر بعده عنها . فهو غني ومترفع عنها ولو انه مبدعها وحافظها . وفقره هذا انما هو غني حقيقي ليس بعده غني . إلا ان الانسان ولونه لا يستطيع الترفع عن المادة والتخلي عنها ، فع ذلك يمكنه ان يشابه الله بفعل ارادته اي بتجرده الداخلي الروحي . ولذا قلنا انه لا فقر حقيقياً بدون هذا التجرد الروحي لان التجرد المادي وحده لا يحسب تجرداً حقاً . ولكنه تعالى غني بذاك الغني

اللاهثائي بالكلمات كلها التي يتفرع منها على خلاثقه كل غناها .
ان غناه تعالى يضاهي فقره . كلاهما لانهائيان .

فَلِمَ لا نصير فقراً، بالمادة لنصير اغنياً، بالله؟ لننظر كيف
عامل القديسين الفقراء، ان الآيات التي أجراها عن يدهم
بسبب فقرهم لكثيرة ومدهشة لننظر الى ما صنعه في عصرنا
مع صفيه القديس يوحنا بوسكو . ومن يجهل الإعجوبة المتواصلة في
« بيت العناية الصغير » « Piccola casa della Provvidenza » الذي
أسسه القديس يوسف كُتولنچو فقد صار عَظِيماً فخماً يسأوي اليه
عشرات المئات من الفقراء، والمرضى، وليس له من رأس مال سوى
الفقر واللاشيء .؟ ان من يبيع كل شيء، ويتجرد عنه حقاً، فكأنه
يشترى الله والله يصير ميراثه . وهو تعالى قد آلى على نفسه ان لا
يُعوز المتكلم عليه شيء . ما اسمى هذا الفقر وارفعه وما اجمله في
من يتحلى به احسبنا هذا ، ايها الاخوة المحبوبون ، أن التشبه بالله
بالفقر يوجد علاقات خصوصية بينه تعالى وبين نفوسنا ، فانه يسمي
ملجأنا وغنانا وعاضدنا وساداً عوزنا ومحامينا وصديقنا الخاص .

السبب الثالث - ضرورة الفقر بالروح للكمال - ان حالتنا تطالب
منا السعي وراء الكمال ، وقد لا نغير هذا الواجب الثقيل الاعتبار
الكافي . فانه يلزمنا ان نزيل كل ما يعترضنا في سيرنا اليه . واية
عقبة لا يوضع المال في طريق الراهب ؟ واي تعلق بهذا العالم وما
فيه لا يخلق في نفسه ؟ ان الغنى والمال هما رباط يقيد حتى نفوس

الرهبان والكهنة أيما تقييد . وقد يصير هذا القيد اشد فيهم منه في العلمانيين . لان الهبوط يكون على قدر علو المنزلة التي رُفِعوا اليها . فكم اغوى المال كثيرين من ذوي النذور والاقسام المقدسة ! آه ايها الاخوة المحبوبون ، ان القلب الرهباني والكهنوتي عندما يتعلق بالغنى ويستميله الاصفر الرنان تموت فيه كل شاعرة رقيقة كانت تسمو به الى الاعالي ، إذ يحف منه روح التجرد الذي يجي الحبة ، كما قلنا . ومعلوم أن بين الحب والفقر صلة محكمة لا تنفصم . فأني لهذا القلب ان ينزع الى العلى ؟ وأني لتلك النفس ان تصعد الى قمة الكمال ؟ حيث يضع الراهب او الكاهن كتزه فهناك يكون قلبه . فاذا كان يصعب على ذوي الاموال ان يدخلوا ملكوت السموات ، حسب قول الحق عينه ، فكم يصعب ذلك على الراهب والكاهن الذي يجعل من ماله كتزه الوحيد؟ فلا نخدعن نفوسنا ! « طوبى للمسكين بالروح فان لهم ملكوت السموات » اهذه هي الطوبى الاولى والاساسية التي تبني عليها سائر التطويبات التي بها يقوم الكمال . ان هذه الطوبى هي العمدة الاولى التي تحمل بناء الكمال . فعليها ينبغي ان نبني ، اذا اردنا ان نبني بناءً عالياً قوياً ثابتاً . ولنعلم جيداً أن للفقر ايضاً صلةً متينةً بالتواضع الذي هو اساس البناء الروحي كله وان الفقر مصدر صبر ووداعة وينبوع حلم وطهارة وسلام داخلي ، لما فيه من الاستسلام للعناية الربية .

السبب الرابع - خير الجمعية - وليست هذه كلُّ فوائد الفقر، بل ان فيه خيراً عظيماً للجمعية. وقد قال القديسون: « ان غنى الجمعيات في فقرها وفقر افرادها ». ويمكن ان تُعكس الآية بان يقال: « ان غنى افرادها فقر لها ». وهذا ما يشته لنا الاختبار. ولا يخفى على احد ان هذا المبدأ عقلي وديني فضلاً عن انه اجتماعي. فكل جمعية لا يحرص افرادها على مصالحها العامة قبل مصالحهم الشخصية فانها تأخذ بالانحطاط شيئاً فشيئاً، ما لم تتدارك امرها، حاملةً الافراد على ان يفتشوا عن خير الجمعية ومصلحتها اولاً وان يضحوا في سبيلها بمصالحهم الخاصة، متيقنين ان ذلك لا بد ان يعود عليهم باعظم الخيرات والمنافع، وعالمين انها ان تأخرت الجمعية تأخروا هم ايضاً واذا ما انقطع سالكها انفرطوا وتبددوا. ولذا يجب ان يكون هذا المبدأ اساس السعي في خير الرهبنة ومصلحتها، ولا سيما لانه يستند الى النذور والعهود المقدسة. وهذا امر واضح لا يحتاج الى حجة وبرهان.

وهل من احد، ايها الاخوة المحبوبون، يجهل ان مصلحة الرهبانية الكبرى وخيرها الاعظم متوقف على حفظ هذا المبدأ ومن يجرؤ على ان ينبذ ظهرياً القيام بما يقتضيه نذره المقدس، اي ان يعيش فقيراً وان يكون كل ما يأتية او يصل الى يده لرهبانيته وليس له، معتمياً في ان يتخلى عما يفرض عن مقتضيات معيشته بروح الفقر؟

الحب البنوي يقتضي ذلك - زيدوا على ما قيل أن الحب البنوي يدفع الراهب الى السير بموجب ما اشرنا اليه . أما أن كل واحد منا هو ابن لهذه الاسرة التي انتمى اليها ؟ وهي قد هذبتة وارضعته لبان الفضيلة والعلم والتهديب باتعابها وجهودها واعدته وانشأته كاهناً لخدمة المخلص وهيئات له مركزاً في المجتمع الانساني وصيرته عضواً عاملاً في الكنيسة ؟ فباسم الرهبنة ، هذه الام العطوف ، يخدم ويشتغل ، باسمها يؤدى له من الاكرام والتجلة ما لم يكن ليحلم به ، لو لم يحصل على نعمة الدخول فيها والانتظام في سلك ابنائها . ان لها عليه الافضال الجملة افعليه ان يقابلها بمثل عطفها عاملاً كل ما في وسعه لانجهاها . ومن يجر على غير هذه الخطة الرشيدة ، خطة الراهب الصالح الغيور ، يلحق بالرهبنة اضراراً جسيمة لا تخفى على كل ذي بصيرة . واعظم ضرر نلاحظ انه يلحق بالرهبنة يتأتى عن التهاون في روح الفقر وعن عدم السعي في التكمّل فيه . وهذا الضرر لا ينحصر بالطبع في الماديات ، بل يتخطاها الى الادبيات والروحيات . ومن يطالع تحريضات مؤسسي الرهبنة ويتأمل في حياة قديسيها ، ير غيرتهم على حفظ الفقر الرهباني بوجه يكاد يقرب من المغالاة . وعندما كانوا يلاحظون تسرب بعض الخلل او بعض الانحطاط في روح التجرد او الرجوع عنه ، كانوا يبادرون الى تلافيه واصلاحه بكل

على ان الفقر الانجيلي ، الذي يجبه الراهب الصالح ويعنى بحفظه ، يوفر للجمعية اسباب التقدم المادي في مشاريعها الداخلية والخارجية ، ويفسح لها مجالاً لعمل خير اعظم لسائر اعضائها وللنفوس ويكون من اهم الدوافع لنموها وانتشارها وازدهارها . فكم من مشروع عائد بنخير عظيم على الرهبنة وعلى النفوس يموت في اول نشأته ، لان الافراد لا يحافظون على الفقر المقدس ؟ وكل يوم زداد تحقّقاً من صدق ما نقول . على ان ثقتنا العظيمة بتقواكم وغيرتكم تغنيننا عن اطالة الكلام في هذا الموضوع .

السبب الخامس - احترام الشعب - ولا يسعنا الا ان نتكلم عمّا لفقر الكاهن من التأثير على الشعب المسيحي وما لتجرده من الوقوع في النفوس . ولا غروى ، فهو المثال الاعلى في الهيئة الاجتماعية والكنيسة فاليه تُصوّب ابصار الجميع . وقد وضعه الخالص قدوة للشعب لينسج الشعب على منواله ويتبع خطواته . ولا احد يجهل ان الشعب يُخص باحترامه وحبه الممتاز ذلك الكاهن الذي يُعلّم روح التجرد بكلامه ومثاله . ولقد رأينا اعجاب الشعب بمثل هؤلاء الكهنة . لا جرم ان روح التجرد والفقر الانجيلي يدفعان الكاهن الى رحمة الفقراء والعطف على ذوي البؤس والشفقة على المعوزين . اما التعلق بالغنى وعبادة المال فيُقسيان قلب الكاهن ويصدانه عن عمل الرحمة واتيان الصدقة ومساعدة الفقير من ابناء رعيته وغيرهم . فيجلب هو عليه وعلى سائر اخوته الكهنة

الازدرآء والمذمة، ويربّي في النفوس احتقار اقدس الامور واجلّها ويشير فيها عواطف البغض والعداء. ان ذلك وايم الحق لشك عظيم، اعادنا الله من السقوط فيه ا فلنتذكر كلمات الرسول البديعة: «ولسنا نأتي بمعثرة في شيء لئلا يلحق خدمتنا عيب» (٢-كور ٦: ٣) واي عيب لا يلحق خدمة الكاهن العائش بالرأهية النافر من الفقر الانجيلي؟

فأتمه

لا نوّد ان نختم رسالتنا هذه اليكم، ايها الاباء المحترمون والاخوة المحبوبون، دون ان نناشدكم بأن تتأملوا في فقر المخلص وما وعد به الذين تبعوه في جيل التجديد والذين يُعنون بنشر هذا الروح السماوي. كيف لا نسعى بنشره بالكلام والعمل وقد تعهد لنا باعظم المكافأة في هذه الحياة وفي الحياة الاخرى؟ كيف لا نسعى في ان ينتشر هذا الروح، ونحن نلاحظ ان الروح المادي الشرير يتفشى بسرعة مخيفة؟ اننا عندما نشاهد حب المال والتعلق بغنى هذا الدهر الذي هو «عداوة الله» سائدين بين النفوس المسيحية ونفوس البعض من الذين كرسوا ذواتهم له تعالى، حتى بين طغمة المخلص المختارة، ياخذنا الاسف الشديد.

أويمكننا السكوت ونحن نرى بام العين ان عبادة الاله الحقيقي تهمل لاجل عبادة المال، ربّ وسيد عالمنا الحاضر؟ فإين غيرتنا على

النفوس وحبنا للمخلص ؟ نحن نعلم ان حب المال قد اهلك كثيرين ، بل نحن متيقنون ان اكثر الهالكين انما يهلكون بسببه ، لانه يهد لهم الطريق لاتبعاع سائر الشهوات الجسدية والنفسية . نعلم ان حب المال يؤدي الى التعلق به دون الله ، فينقلب مانعاً حصيناً ضد كمال الحب الحقيقي ، ومع ذلك لا نعير الامر الاهتمام الذي يستحقه . اذن لا يمكن في احد منا بعض هذا التهاون ، بل فلنسر الى تمام التجرد ، فنصل الى كمال المحبة التي بها نغتنى بالله الحب وحده . لنثبت باعمالنا انه هو وحده الحبيب الينا ، ها قد تركنا كل شيء ، لنرجه ، افنتعلق بهذه الاشياء الدنيا التي تُفقدناه ؟ ان اكبر تعزية لقلبنا هي ان نرى أبناءنا واخوتنا جميعاً سائرين في هذه الخطة السماوية .

واعذب ختام لرسالتنا هو ان نصافح كلاً منكم بالمخلص راجين للجميع ، من فيض عطفه ، السير المطرد في روح التجرد والتكامل بمحبة من هو الحكمة الجديرة بان نتبعها مزددين بكل شيء ، لننالها ، تلك الحكمة التي يجب ان نفضلها على الصوالة والعروش وان لا نحسب الغنى والمال « شيئاً بالقياس اليها . . . لان جميع الذهب بازائها قليل من الرمل والفضة عندها تحسب طيناً » (حك ٧ : ٩) . فلنحجب هذه الحكمة فوق كل شيء . ولنتخذها عروساً لنا ولنصر عاشقين جمالها وبهاءها الفتان البارز من مذود المخلص .

فليس لنا اليقين المخلص، الحكمة الازلية، هذه الحكمة من
سماواته المقدسة وليبعثها من عرش مجده... فتعلمنا ما المرضي
لديه وتكون لنا مرشداً فطناً في افعالنا (حك ٩ : ١٠ و ١١)
مدة حياتنا كلها. جعل لنا جميعاً، ايها الاباء المحترمون، هذه السنة
الجديدة، سنة مقبولة حافلة بوفور النعم وغزير البركات لنفوسنا
ولأمتنا الرهبانية، بكرامة ميلاده البهي وشفاعة ايينا القديس
باسيليوس الكبير. آمين

الارشتمندريت

عن دير الخالص في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٣٦

تقولا برهنس

اب عام ب م

فكر في الحياة

« ما هي الحياة؟ أهي سنة ام سنين؟ وكم عمر الانسان على الارض؟ - انه
مثل يوم امس الذي عبر... انه لا يتجاوز الوقت الحاضر! وكم الوقت
الحاضر؟ انه اقصر من التلغظ به... هل يمكنني ان أعد الماضي من حياتي؟
انه مضي فلم يعد منها! وهل المستقبل ياترى (هو) من حياتي؟ انه ليس لي
واست عائشاً فيه (بعد او لم احصل عليه بعد) فهو ايضاً ليس من حياتي فلم
يبق ان احسب من حياتي إلا الحاضر! وكم هو طويل الحاضر! »
(من اعتبارات المرحوم الاب اغناطيوس ضاهر ب م)

رسالة الاب سابا كاتب

الى الحلبيين بشأن المطران جرمانوس آدم

في خزانه حضرة الاستاذ عيسى اسكندر الملوغ كثير من المخطوطات النفيسة النادرة والاوراق والمنشير والرسائل بخطوط اصحابها وهي مجاميع بدعية لاثار اسلافنا في بيان اعمالهم وحوادث ايامهم ومنها رسالة لاجد اباء رهبانيتنا المرحوم الاب سابا كاتب الى اعيان الحلبيين بشأن مطرانهم المرحوم جرمانوس آدم نقلها لنا لتنتشر في رسالتنا المخلصية على اثر ما نشرنا عن الاب سابا المذكور في السنة الماضية فله جزيل الشكر .

وقبل نشر هذه الرسالة لا بد لنا من كلمة هنا توضح شيئاً من احوال المطران جرمانوس والاسباب التي حملت الاب سابا على كتابة هذه الرسالة بحججه وهي تم بعبارتها الفلسفية على غيرته الدينية وایانه واخلاص حبه لطائفته بدون محاباة وكان سابا يقيم حينئذ في مدينة تريستا من بلاد ايطاليا في دار الكونت الكريم انطون قسيس فرعون دمشق^١ .

ولد جرمانوس المذكور ابن عيسى ادم نحو سنة ١٧٣٨ في حلب . وفي ٢٣ كانون الاول سنة ١٧٥٤ دخل مدرسة انتشار الايمان وبعد ان اتم دروسه القانونية فيها بنجاح عاد الى وطنه حلب . وكان قائماً حينئذ النزاع على البطريكية بين البطريرك انثاسيوس جوهر وثاوضوسيوس الدهان وكان اهل حلب مع رهبان دير مار يوحنا مشايخين للبطريكية ثاوضوسيوس فرسمه هذا كاهناً سنة ١٧٦٢ واتخذ كاتباً له وكاتماً لاسراره ومستشاراً له وبهذه الصفة حضر معه مجمع دير القمر سنة ١٧٧٣ لفصل الخلاف القائم حينئذ بشأن البطريكية

(١) راجع كتابنا تاريخ آل فرعون صفحة ١٤٢

وسنة ١٧٧٣ رمحه البطريك ثاوضوس مطراناً على عكا بمواضعة واتفاق المقدسي ابراهيم الصباغ الشهير الذي كان حينئذ طبيب ومستشار الشيخ ظاهر العمر الزيداني حاكم عكا وبلاد صفا بدون انتخاب قانوني اذ كان مطرانها مكاريوس الفاخوري قد ارتسم عليها سنة ١٧٦٣ .

وفي سنة ١٧٧٥ قُتل الشيخ ظاهر واستشاره المذكور وتسلم الامر في عكا . من قبل الدولة احمد باشا الجزائر وقد نال عكا واهلها بلاء عظيم بسبب ذلك حتى خربت فانتقل المطران جرمانوس الى حلب بتدبير البطريك ثاوضوس مع ايمان الطائفة في حلب وكان قدمات مطرانها اغناطيوس جربوع

وبعد وفاة البطريك ثاوضوس سنة ١٧٨٨ انتخب المطارنة خلفاً له البطريك اثناسيوس جوهر . الا ان المطران جرمانوس ابى الحضور معهم للاشتراك بهذا الانتخاب لعله في نفسه رغباً عن توسط بطريك الموارنة والشيخ غندور الخوري الذي كان حينئذ كسبية (معاون) الامير يوسف شهاب بحجة ان اثناسيوس المذكور قد حرم سابقاً من البطريكية بحكم رومية فلا يجوز انتخابه لها ابداً . لكن رومية لم تجرد مانعاً لتثبيته بعد اتفاق المطارنة على انتخابه من جديد . ومن ثم لم يسع المطران جرمانوس الا ان يخضع له ظاهراً بعد ان رفع استغاثته الى رومية ضده لكن بقيت في نفسه حزازات الحقد حتى كان يحاذر الاجتماع بالبطريك المذكور كل حياته . مع انها كانا يقيمان كلاهما في لبنان .

ولسعة . معارفه بالحق القانوني اقامه الامير يوسف شهاب قاضياً عاماً في لبنان كما ان الخبر الاعظم البابا بيوس السادس جعله قاصداً رسولياً لدى الموارنة سنة ١٧٨٧ وبهذه الصفة ترأس المجمع الذي انعقد في دير بكركي سنة ١٧٩٠ بالبطريك يوسف اسطفان ومطارنته بنجاح تام حتى ازال كل خلاف بين البطريك المذكور وبعض المطارنة ولا سيما فيما يخص الراهبة هندية راديرتها وراهباتها . وكان في هذا المجمع خير قدوة لنواب الخبر الاعظم باقواله وسالوكه .

وكان حينئذ في حلب كاهن اسمه اسطفان من اسرة جربوع من اقارب المطران اغناطيوس جربوع او ابن اخيه وقد لازم خدمته في مرضه الاخير حتى خصه عمه لذلك بكمين من بدلته الكهنوتية . واذ بلغ المطران جرمانوس انه اختلسها اختلاساً غضب عليه وكتب اليه يوجّه على ذلك ويأمره باعادة الكمين وتهدّده بالرباط وتشهير امره . فأبى اسطفان رد الكمين وكتب جواباً الى المطران يوضح له بان الكمين هبة له من عمه المطران مقابل خدمته له في مرضه الاخير . فازداد المطران عليه غضباً وحنقاً وارسل له امرأ جازماً بالرباط عن القداس على يد نسييه الحوري مخائيل جربوع وكيل المطران المذكور فغضب لذلك القس اسطفان ونسييه الحوري المذكور وكل اسرته واقاربه واصحابهم وكانت هذه الاسرة وهي لم تزل الى اليوم في حلب ذات وجاهة وقد غلب عايمها اليوم لقب بيت الحوري لكثرة الكهنة فيها ورفع القس اسطفان دعواه بهذا الشأن على المطران الى البطريرك اثناسيوس فازداد المطران لذلك غضباً وحنقاً حتى رفع هو دعواه ضد البطريرك الى رومية وسافر الى هناك لهذا الغرض بطريق اللاذقية في آخر آب سنة ١٧٩٢ . وكثرت المكاتبات المختلفة بهذا الشأن بين البطريرك والمطران واحزاب كل منهما وقد تداخل في هذا الامر اكليروس واعيان باقي الطوائف الكاثوليكية في حلب وانقسموا الى حزبين عنيدين كان هم كل فريق وكل فرد منهم التشجيع على خصمه . وعندني من هذه المراسلات بهذا الشأن ما يشغل نحو ٢٠٠ صفحة من صفحات هذه الرسالة .

الا ان مجمع انتشار الايمان انهى هذه الدعوى صلحاً بين الفريقين وحم بقطع كل جدال بهذا الشأن من كل من له شأن فيها وبذلك انتهى الامر وتم قول المثل العربي قطعت جبهة قول كل خطيب وعملاً بالحكمة الرومانية المشهورة :

قالت رومية وانتهى الامر *Roma dita causa finita*

الا ان المطران جرمانوس لم يدعن بذلك لرومية الاذعان التام بالاخلاص اللازم لكل صلح ولتأم الطاعة بل لبث في رومية يسعى لفصل ابرشية حلب عن

البطيركية الانطاكية بحجة ان البطريرك اثناسيوس جوهر غير مخلص الطاعة لرومية وان ايمانه الكاثوليكي مشبوه او مشاب بعيوب . لكن حقيقة قصده بذلك النكابة بالبطيريك بغضة له وحقداً عليه . واذ بلغ الاب سابا قصد المطران هذا كتب هذه الرسالة الى اعيان الطائفة في حلب . ونحن نظن ان المراد بالخوجا نصرالله المذكور اسمه في صدرها هو نصرالله عائدة الذي كان عين اعيان الطائفة في حلب لذلك العهد من المشايخين للمطران جرمانوس .

واذ فشل المطران في رومية بقصده هذا بفضل استقامة رئيس مجمع انتشار الايمان وسعي من كان في رومية حينئذ من اكليروس الطائفة واعيانها شق عليه ان يعود الى حلب مخذولاً . بل ابث في ايطاليا وانقلب ضد رومية ورياسة الخبر الروماني السامية في الكنيسة الكاثوليكية وصار يتصل بكل من كان مشايحاً ليوسف الثاني قيصر النمسا وجرمانيا بذهبه المرذول المعروف باسمه Josephisme وكان سلطانه يمتد لذلك العهد الى معظم دول ايطاليا . وكان اخوه Léopold الحاكم العام من قبله على مقاطعة توسكانا على شاكلته ورأيه . وبايعاز هذا الامير انعقد سنة ١٧٨٦ المجمع المرذول المشهور في مدينة بستويا Pistoia من هذه المقاطعة برئاسة مطرانها Ricci الذي كان من اشهر المصانعين للقيصر ولاخيه وصديقاً للمطران جرمانوس الذي اجتمع بهما زماناً في عاصمة هذه البلاد . وامامي الآن رسالة كتبها جرمانوس في مدينة فلورنسا في ١٥ آذار غربي سنة ١٧٩٥ الى اكليروس حلب في وحدة رئاسة الكهنوت ما عدا الخبر الروماني . وعندي رسالة منه الى اكليروس حلب كتبها في مدينة مسينا Messina في ٧ كانون الثاني سنة ١٧٩٧ . وكان قد مات البطريرك اثناسيوس جوهر سنة ١٧٩٤ ومات ايضاً خلفه البطريرك كيرلس سياج سنة ١٧٩٦ ولم يحضر المطران جرمانوس بجمع انتخابه ولا انتخاب خلفه اغابوس مطر ولم يحضر المجمع الذي انعقد في ١٤ ايلول سنة ١٧٩٧ لانقضاء الرهبانية السمعانية التي حالما عاد الى الشرق باشر حملاته ضدها وضد منشيا المطران اغناطيوس صروف حتى تلاشت .

ولا يسعنا ضيق المقام هنا ان نذكر ما كان بعد ذلك من المطران جرمانوس
 بما دسه من ارائه الفاسدة المرذولة في فتاويه الشرعية القانونية وفي بعض كتبه
 ومجمع دير القرقمة الذي انعقد سنة ١٨٠٦ مما حُرِّم من رومية بعد ما قام عليه
 كثيرون من الشرقيين يعارضونه ويقبحون عليه مذهبه^١. الا انه اخيراً رجع عن
 ذلك واخضع كل كتبه لحكم الكنيسة الكاثوليكية وراسها الحبر الروماني
 رافضاً كما ترفضه بدون استثناء. قسطنطين

الى جناب حضرة الاخوان الاعزاء الاكرمين الخواجه نصرالله
 والخواجه^٢ . . : المكرمين حفظهم الله تعالى

بعد اهداء صوافي التحيات الفاخرات . وزواهي التسليمات العاطرات .
 ورقائق الادعية المتواترات . وتسامي الاشواق القلبية . الى رؤيا تلك الطلعات
 البهية . التي لا تزال بالعناية مصانة ومحمية والباعث لتحرير نعمة الوداد اولاً
 تفقد الخاطر المينف . والسؤال عن صحة المزاج اللطيف . ثم ان الداعي يشرح
 لجنابكم معنى علمية اسمه وصفاته حيث ان الزمان لم يسمح لنا بمعرفة العيان
 فنكتني بالاخبار وسماع الآذان . فاقول داعيكم المتجاسر على ابداء الخطاب
 والمكاتبة مع حضرتكم هو القس سابا كاتب من رهبنة المخلصين المقيم يومئذ
 بمدينة تريسته بمجدة بيت الجناب الكريم حضرة سنير كنتي انطون قسيس
 فرعون المحترم

هذا وانه معاوم عند العام والخاص قدوم مطرانكم العزيز السيد جرمانوس
 آدم الى هذه الديار الافرنجية رافعاً دعواه الى الكرسي الاعلى الروماني على
 بطريركه الشرعي الانطاكي بانه تعدى عليه بالتدخل في سلطانه على ابرشيته .

(١) منهم الخوري سابا فانه الف رسالته المطبوعة بين رسائله في صفحة ٨٦ « في
 اثبات قيام الاستحالة الجوهرية في سر الافخارستيا بالكلام الرباني »
 (٢) هكذا في الاصل بدون وضع الاسم امام الخواجه الثانية . واشتهر باسم نصرالله
 في حلب لذلك العهد نصرالله الطرابلسي ونصرالله غزاله من اعيان الروم الكاثوليك .

فهذا هو المشهور . ولكن ما هو مكنون بالنفس هو ان يفصل ابرشية حلب عن كرسي الانطاكي لكي يعيش على هواه . ويحكم كما يشاء في عباد الله . وهذا قد ظهر بعد وصوله الى مدينة رومية العظمى لانه من حيث سقمه بداء الجهل والعناد وانحرافه عن طريق الهداية والرشاد كان يظن انه يبلغ المرام فيما صورّه من السبب الظاهر لقدمه وحينئذ يجعل انتصاره به مقدمة وتمهيداً لنوال غايته المقصودة

لكنه اذ علم من ارشاد بعض العلماء الرومانيين انه بذلك مغلوب وينال مكروهاً غير مرغوب اخذ يهدد لنوال غايته اساسات غريبة عن الحق واليقين مضادة لقواعد الشريعة والدين . بافترائه ان البطريرك رجل غير مستقيم المذهب . بل لا يرغب بالواقع قيام السلطان الروماني عليه . لكنه بالعرض يسلم باسم الاتحاد مع الكنيسة الرومانية . واما هو من حيث انه مستقيم الايمان وابن المدرسة الرومانية يرغب حتى الدم قيام السلطة الرومانية على الشرق . واذ كان لا يمكنه ذلك ما دام تحت سلطة البطريرك فلذلك يطالب من الكرسي الرسولي التحرير لكي يستطيع ينادي بجاهرة بالسيادة الرومانية اقله في ابرشية حلب . وبواسطة الرشوة لبعض الخواشي اوقع شكاً على السيد البطريرك في عقول الكردينالية حتى ان البعض مالوا لمطلوبه . الا ان اكابر الكردينالية وعقلاهم العارفين احوال الشرق ابوا وارقفوا الحكم الى ان يُسأل قدس السيد البطريرك عن جميع هذا الافتراء وطلبوا منه تبرير ذاته بالايمان والقسمة على الاعتقاد . وحينئذ يظهر غي ابن آدم وفجور دعواه . وهكذا تجرر لقدسه . ففقي حضر الجواب من سيادته سيحصل ابن آدم على مزيد الخزي . وسوف يحصل على تسمية مزور وشاهد الكذب . ومن حيث ان هذا الرجل كانه اخذ الوجود من الطبيعة في حال حركتها غير المستكنة فيكون قد جُبل على القلق طبعاً وتشخص عليه ذاتاً . فلذلك لا تعنيه هذه التسمية التي هي صفة من الخارج وعارضة . ولا عجب ايضاً مما يصدر من هذا الرجل على خلاف

القياس اذ ان الطبيعة هي مصدر الافعال . لكن العجب الاعظم هو صدور فعل هكذا على خلاف القانون من طبيعة قد جبلت على كمال القانون . فكيف ان الحلبيين المشهورين بمجاذقة العقل والفضيلة الذين ينظرون وينتجون المزمعات بدون امثلة ومقدمات فكهم بالاختبار والتجربات يسمون هكذا اسماءهم وختوماتهم الممضية الى جاهل هكذا يسجل بها اعظم الشرور والنكبات .

فما هو المعنى في قسمة ابرشية حلب عن الكرسي البطريركي؟ هل هو شي آخر سوى قيام رياسة جديدة كاثوليكية؟ هل هو سوى صورة رئاسة كيرلس على الشام وسلبسترس^١ على حلب؟ واي شر ينتج؟ بل اعظم شر اذ ان جرمانوس اكثر قلقاً من سلبسترس . وهذا الزمان اشر من ذلك . فاذا كم وكم من الشرور الاعظم تنتج؟ فماذا تظن الروم بهذا النظام الجديد؟ واي وسواس يعتري عقولهم؟ هل ينظرون ذلك بنظر بسيط ويصمتون لكبير جرمانوس ويمنحوه زماناً لينظم رئاسته الجديدة على حلب؟ لا اعلمي بل يسعون بكل عناية بان يمنحوا الصورة لمادة ذلك الفعل المصدر ذاك المفعول الذي اذا فطانة الحلبيين تحدثت مع قواها الذاكرة تفكر بانها ذاقت مرارته العلقمية مرة بل مرات . وكم يكون اعظم طعم هذه العلقمية لسبب ضعف القوة الدائمة لسوء الزمان الذي نحن فيه ولا سيما اذا كان كبير جرمانوس اهله . لانه من المعلوم ان المومى اليه لسبب عداوته البليغة مع طائفة الموارنة لا يستطيع السكنى في جبل الدروز (لبنان) فاذا بالضرورة يكون مقر ركابه الشريف دائماً حلب . فحينئذ رعا الله حلب وسقاها سقياً حيث انها في ذلك الاوان تغدو منظورة الباب الهاموي بافتقاده اياها على غير الاعتياد من ارسال تاتارية متواترين وبعض الاحيان قبوجي باشي جمائبهم مملوءة دائماً فرمانات وحسابات وقصاصات وما شاكل^٢ . وبالاجمال اقول ان غوايل

(١) اشارة الى ان الحلبيين الروم الكاثوليكيين انتخبوا سنة ١٧٣٤ للبطربركية سلفستروس القبرصي بعد ما انتخب اهل دمشق كيرلس طاناس (٢) اشارة الى ما كان قد اعتاد سلفستروس ان يأتي من المظالم في حلب بواسطة رجال الدولة .

هذه المادة تسقي حلب كسأ لم تتجرع مثله فيما مضى . وبالاقتصار نبقي شرحه لتصور كل ذي فطنة . الا انه بدون ريب يترجح عندي ان الفطنة الحلبية لم تشخ ولا عدت حرارتها العزيزة ولا تعكر رايق رحيقها . على ان بعض الاخوان الذين اعطوا شهادتهم واختامهم لهذا الرجل لم يعلموا سريرته ورايه الفاسد بقسمة ابرشية حلب عن الكرسي البطريركي . لكنهم بحسب الظاهر اعطوه الشهادة على مادة اختلاف الكهنة واستعمال سلطانه وتداخل سلطان البطريرك فقط بدون مطابقة على جهله الفطيع وهذا الراي قد رجحه عندي بعض الاخوان العقلاء الذي يعلم جيداً الرصانة الحلبية . فعلى هذا لودي لهذه البلدة السعيدة التي هي كقطب في بلادي التي اخذت الوجود من ترابها وربي جسمي من نسيم رحابها يشق علي ان يهبط مقامها من سرادق مجد الحكمة بتأمل الكائنات والفطنة بجذر المزمعات ولو انه بمجرد الوهم والاعتبار .

على ان الديوان الروماني يعتبر بلدتكم كأنها منارة تضيء في الشرق كله فكيف الآن يرى جزءها الخاص مغشى بالظلام . فلذلك اذكر فطنتكم الرايقة واقدم لفحص مشورة عقلكم السامي يا ايها الاخوان الحلبيون الكليو الوقار بان ترسلوا عرضاً عاماً للجمع الروماني . ضمنونه انكم لا ترون ما يرى المطران . وان كان البعض منكم اضي اسمه مع المطران فذلك ينظر الى مادة خصام مع اسقف وكهنة وتوسط حكم بطريركي وليس الى مادة غوايل دعاويها تمتد الى الدواوين العثمانية وتخصب اسفار الولايات والتاتارية . فبهذا تبررون عرض الفطنة الحلبية وتحفظون مقامها الاجل في السدة الرومانية

هذا وأهدي مزيد المحبة والدعاء لمن حوى مقامكم السعيد وارجو عدم اخراجي من خاطر الشريف وتشرفوني بما يازم من الخدم التي تعد عندي من اجل النعم . حضر من هذا الطرف الجنب العزيز بحكم السنيور كنتي انطون قسيس فرعون يهديكم مزيد التحيات ودمتم واطال الله بعاكم

ترجمة

المرحوم جرجي بيطار (تابع)

بقلم الاب مكسيموس شتوي ب م

« وعثرنا أيضاً بين اوراقه الخاصة على كتابة حمل فيها على الازياء الخلاعية قائلًا :

« أنا من زمان طويل ، أحب وأقصد ان تكون كل ازياء وملابس النساء محشومة ، وانا دائماً كل ما كان وقت يصير فيه التكلم بخصوص قلة الاحتشام ، فألوم بكل لطف تظليط الايدي وتقصير الفساطين التي تسبب الشك لكل الرجال لان فادينا الالهي يسوع المسيح قال لنا جميعاً : الويل لمن تأتي منه الشكوك . خير له ان يتعاق في عنقه حجر الجبلى الذي في بملبك ويزج في البحر . . . والرجل الذي يريد ان يسلم من هذا الشك اي من النظر الى هذا التظليط وقصر الفسطان يازمه ان يرمد عينيه الاثنتين فيسلم من هذا الداء المعدي . ومن زمان ، كانت سيده تأتي كل يوم الى الكنيسة ومعها ابنتها الصبية ومحضروا القداس الالهي بأيدي مظلمة وفساطين قصيرة . وبعد ذلك مرضت الصبية وكان مرضها قوياً الى ان بارحت هذه الحياة . وصارت الوالدة تأتي كل يوم الى الكنيسة لحضور القداس الالهي وهي لابسة الاسود بكل احتشام من الرأس الى القدمين . وقبلًا طبعاً سمعت جملة مرات التنبيه عن الحشمة والتظليط وقصر الفساطين وما اعتبرت هذا التنبيه بل قال البعض منهم . . . خلوا المطران ينبج حلقه . وهذا الكلام الغضيب سمعته باذني من الستات وانا واقف بدار الكنيسة . فسيدنا البابا وعموم عساكر المسيح مازومين ان ينبج خلقهم بهذا التنبيه وغيره الذي هو تنبيه معلمهم الالهي يسوع المسيح ! وانا كنت ارى هذا التعري ، وانبه

عليه والدموع تهطل من عيوني ، واوبخ عليه بلطف ، لانه اقوى فنج عند ابليس يصطاد به الانفس المشتركة بسفك دم فادينا الالهي يسوع المسيح . والاحسن لهؤلاء السيدات ان لا يأتوا الى الكنيسة لئلا يرموا بعض الشبان والرجال حتى الشيوخ ايضاً بالشهوات اللحمية التي دائماً تحاربنا ونحن ضعفاء . ولا قوة لنا على محاربتها إلا بالانتجاء الى ملجأ الخطاة الوحيد لكي لا يعاملنا الرب الاله باعمالنا الشريرة بل يشفق على ضعف طبيعتنا المائلة دائماً الى الشر . »

وبهذا المعنى كتب^١ الى إحدى بناته في باريس قائلاً :

« انه من واجباتنا ايها الحبيبة ان انبهكم عندما تأتوا الى الكنائس ان تكون كسوتنا محشومة وكل احترام لكي يقبل الله صلواتنا وينجيننا من المصائب ويغفر لنا خطايانا . فكيف نظهر امامه في الكنائس بأيدي مظلمة وبدون احترام ، الواجب علينا وهو تقديس اسمه نهبنا وقال لنا جميعاً : اذا اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فانا اكون هناك في وسطهم . فالبنات والسيدات الذين يأتون الى الكنائس وهم بتلك الحالة المحزنة ، فانا الحاطي . أشور عليهم ان لا يحضروا القداس أيام الآحاد والاعياد فيكون خطاهم اقل من ان يحضروا بتلك الحالة التي تغيظ فادينا الالهي يسوع المسيح ، الذي طرد من بيته اولئك الذين يتكلمون ويبيعون ويشتررون ، لان التظليل وعدم الاحترام أشرم من البيع والشراء . والآن صار عندنا الربيع وما كان البارد خلص ، وكنت انظر البعض من السيدات يأتون الى الكنيسة مظلمين الايدي والفسطان قصير لفق الركب . ويوم الاحد الماضي كان احد توما وانا راكع على البنك في القداس . ولما صار وقت المناولة تقدم الرجال والسيدات للمناولة . فتقدمت ابنة صبية جميلة ويديها مظلمة . فالكاهن خجل ان يناولها حيث كان تنبه على الكهنة ان لا يناولوا المظلمين

الايادي . ولما انتهى القداس خلاّقت واثيت اليها وقلت لها : يا ابنتي انت لست منقبة وقد كان الافضل لك ان لا تتناولى بهذا الحال . فلابنة خجات والسّات الذين حولها لاموها . وقلت لها ايضاً : لا بأس انت الان يا ابنتي غير منقبة فانقبهي ونبهي غيرك لكي يرضى الرب الاله علينا ولا يعاملنا باعمالنا .»

« وكان من عادة جمعية القديس منصور ان تفتحي إحدى الروايات الادبية ، لتمثّل على مسرح ناديها ، على ان يكون ريعها لمساعدة الفقراء . وكان الدنا حينذاك رئيساً للجمعية . فلاماً عرف ان في تلك الرواية دوراً نسائياً ، منع تمثيلها منعاً باتاً . فقال له احد أفراد الجمعية : يا أبو جبران ، ان هذا الدور ليس فيه ما يمس الآداب . فأجابته فوراً : لا أريد ان يظهر النساء على المسرح امام الجمهور ، ان الله تعالى يعرف ان يدبر لنا ريعاً من غير هذه الطريقة . وأبى إلا ان يبطل تمثيل الرواية . ففي اليوم التالي نقده احد المحسنين كمية أعظم بكثير من الريع الذي كانت ترجوه الجمعية من تمثيل الرواية .

« ولكي يزيدنا كرهاً لهذه المؤدّة العصرية وجميع أفراس الدنيا الزائلة ، كان يعاملنا دائماً ان لا نتعلق بالدنيا ، ويقول لنا : « يا أولادي نحن مسافرون ، وبيتنا في السماء .» ولماً بعنا بيتنا الذي بجارة اليهود ، وكانت والدتنا راغبة في ان نشتري بيتاً آخر كان يكرر لنا قوله : « ليس ضرورياً ان يكون لنا بيت على الأرض ، لان بيتنا في السماء .»

« وما عدا هذا فلم يكن يملُّ من تحريضنا ، سواءً بكلامه او بكتاباتهِ ، على التعبُّد الدائم للعدراء مريم والاشترك في اخويتها المقدسة ، مبيناً لنا ان هذه العدراء المحيطة « هي أمنا وهي ابونا » .
وقد كتب في ذلك قائلاً :

« أنا عبد للعدراء . من زمان طويل ، ومشارك بأخويتها من قبل طوشة سنة ١٨٦٠ . وقد اشتركنا في هذه الاخوية بزمن السعيد الذكر البطريك مكسيموس مظلوم وهو الذي أسس هذه الاخوية المباركة التي اعرف ذاتي أني ما قطعت حضورها احداً واحداً إلا وقت الضعف والسفر . وحينما أكون طريح الفراش اعمل الاخوية بالبيت حتى لا تنقطع اوقات صلاة الاخوية ، وانا ارجو جميع اولادي واخوتي المسيحيين ان لا يتأخروا عن الاشتراك بهذه الاخوية المقدسة ، لان العدراء هي ملجأ الخطاة الذين انا اولهم ، وايس لنا اثوكاتو غيرها ، لانني انا من زمن طويل وسنين عديدة موكلها اثوكاتو عني وببلاش . لانه ما معي غرش واحد لكي ادفعه اجرة اثوكاتية ، وصرت أظفر من الطنبورة حتى يكون ضميري مرتاحاً دائماً . »

فتلك كانت حياة هذا الرجل ، بين افراد عائلته ، وهي لعمرى حياة يجدر بجميع آباء العائلات المسيحية ان ينسجوا على مثالها ، ليكونوا قدوة صالحة أمام الله والناس ، فانهم لم يصيروا آباء ، ومشاركين لله في الخلق إلا ليعملوا عمل الله في انشاء عائلة مقدسة .

الفصل التاسع

اسطنبول سنة ١٨٩٥

اسطنبول الملقبة « دار السعادة » ، لم تكن في ذلك الوقت دار السعادة ، بل دار الخوف والهلع . فمن ذلك القصر المظلم الظالم ، قصر السلطان الطاغية ، عبد الحميد ، كانت تصدر اوامر الذبح والقتل ، ولا مبرر لها غير الارادة الشاهانية ، والانانية القتالة .

وكان ذلك السلطان ، او « الرجل المريض » كما سماه بعض المؤرخين ، لا يذوق يوماً طعم الراحة والحياة الهانئة ، ولم يكن يجد وقايةً لحياته في سوى قتل من كان يتوهم فيهم العدا . وقد بلغ به خوفه على حياته الى حد أنه لم يكن يقبل في قصره ، لاعداد طعامه ، غير راهبات المحبة ، فكن يهيئن له الطعام ويضعنه ضمن وعاء مختوم بأيديهن الامينة ، ولا يفيض الختم سواه . وكفى بذلك شهادة على صدق المحبة المسيحية والوهيتها .

وقد قيل : لو استخدم السلطان عبد الحميد عشر ذكائه في سياسة بلاده ، لكان أعظم رجل في عصره .

ولذلك كان الولاة في جميع اقطار السلطنة العثمانية ، يخشون بوادر غضبه وصواعق نقمته بين لحظة واخرى ، فكان همهم

الاول ارضاء مولاهم بالهدايا الفاخرة ، او بالوشاية بمن يتصورونه عدواً لجلالته. والحمد لله أنه لم يخطر في بالهم ان يرموا جرجي بيطار بوشاية ما لدى السلطان، بل كانوا يتقدمون اليه في إعداد التحف التي يريدون اهداها لجلالته استرضاءً لحاظه الشاهاني .

وكان جرجي وقتئذٍ ذائع الصيت ببدائع صناعته ، ولا سيما بعد ان اشتغل لقنصل النمسا بدمشق ، مكتتباً كاملاً كان قد طلبه ذلك القنصل لتمثيل الصناعة الدمشقية في معرض فينّا الصناعي سنة ١٨٩١ ، وقد نقده القنصل لقاءً ذلك مئة ليرة عثمانية ذهباً .^١

وكان والياً بدمشق سنة ١٨٩٥ سعيد باشا الملقب «بامير الحنج» . فلما شاهد جمال الصناعة التي اخترعها جرجي بيطار استدعاه اليه واوصاه بشأن هدية نفيسة من تلك الصناعة ليرسلها الى السلطان عبد الحميد بمناسبة المعرض الصناعي الذي سُكِّل وقتئذٍ في اسطنبول ، وكلفه السفر الى اسطنبول للاشراف بنفسه على نقلها ضماناً لوصولها سالمة .

واليك ما كتب صاحب الترجمة ، في هذا الموضوع ،

(١) وكان قبل هذا التاريخ قد اشتغل صندوق ذات مدارج (جوارير) سرية هي اول شغله في صناعة التزليل (الموزاييك) . وقد اهداها ذوهه الى متحف دير الخالص حيث تحفظ كذخيرة فن وفضل .

بسداجة مسيحية تشفّ عن فضيلة راهنة: «اني اخترعت منجور الموزاييك ، وتخلّق معنا بهذه الصناعة اشغال كثيرة وناعمة جداً . فوالي الشام سعيد باشا امير الحج ، سنة ١٨٩٥ ، لما شاهد جمال هذا الشغل ، وكان مراده ان يرسل هديّة الى السلطان عبد الحميد ، طلبني اليه واوصاني علي خمسين قطعة ، خزائن ومكاتب ، ومن جملتها طقم كراسي كامل .

« ولما انتهى الشغل ، قال لي الوالي : خذهم الي بيتي ، بعد أن تحضّر لهم صناديق لتعبايتهم ، وعيبتهم امامي في البيت ، حتى انظرهم كلهم وانبسط بشوفتهم ، لاني انبسط كثيراً بهذه الصنعة التي اخترعتها . ولاجل ذلك اريد واحب كثيراً ان تسافر الى الاستانة العليّة ، حتى يراك السلطان عبد الحميد ، وانا اعرفه بانك انت الذي اخترعت هذه الصنعة ، وانا اعطيك كل مصاريف سفرك ، واجرة عطلة ايامك التي تسافر فيها الى اسطنبول . وهكذا صار .

« ولما انتهت كل هذه الاشغال ، وعملنا الصناديق اللازمة لها ، نقلناها لبيت سعيد باشا ، وهناك بقينا قدر اسبوع ، ونحن ننقّها بالورق ، ونركزها ضمن الصناديق وقد كتبوا على كل الصناديق بان ضمنها «بضاعة لجلالة السلطان المعظم عبد الحميد خان» . وهكذا نقلوهم الى محطة السكّ (السكة) وشحنوهم لبيروت ،

وانا سافرت معهم الى بيروت .

« وقد اتى مركب خصوصي الى بيروت ليحمل هذه الهدية والاشغال ، وهدية اخرى من عبد الحميد ، شيخ العرب ، رؤوس خيل من اهم خيل العرب ، لان السلطان كان طلب من عبد الحميد ، شيخ العرب ، أن يحضر الى اسطنبول لكي يواجه السلطان . » وهكذا نزلنا في المركب كلنا ، ولما وصلنا الى اسطنبول استقبلنا الحج علي بك في سرايته ، وضافنا عنده ، لأنه كان صديقاً لسعيد باشا ، وشيخاً كبيراً عند السلطان عبد الحميد . وكان جلالة السلطان كل يوم يقبل يديه لأنه شيخ جليل ، وكان السلطان يعتبره كثيراً ، وابن هذا الشيخ هو ياور عند السلطان . فلما يصير وقت الاكل ، كان هذا الياور الشريف اللطيف ياخذني ويضعني بجانبه ويقدم لي الاكل بيده . وكان ياخذني الى بعض المحلات للفسحة . »

ولم يذكر صاحب الترجمة في كتاباته هذه ، ذلك الاعجاب السامي الذي كان لصناعته في نفس جلالة السلطان ، حينما شاهد الهدية . وقد روى عنه أحد أحفاده أنه توارى عن العيان يوم وصول الهدية . وكان جلالة السلطان عبد الحميد استدعى امهر النجارين لتفكيك الصناديق وتركيب الخزان .

وكان بين هذه الخزائن خزانة دقيقة الشغل والتركيب ، وعبثاً حاول اولئك النجارون أن يفتحوا مدارجها بعد تركيبها .

فغاروا في الامر وعجزوا عن كشف سر تلك المدارج .
 فامر السلطان باستدعاء جرجي بيطار ، فحضر وتظاهر هو أيضاً
 بجهله سر المدارج . واذ كان النجارون وكبراء القصر السلطاني
 واقفين ينظرون بدهشٍ واعجاب ، مدَّ جرجي يده بجرمكة خفيفة
 الى مفتاح سرِّي ، وضغط عليه بخفةٍ ورشاقة ، فانفتحت المدارج
 كلها دفعة واحدة ، فبهت الحاضرون وانكشف امامهم سر
 الخزانة .

وقد اعجب السلطان بالهدية ولاسيما هذه الخزانة السرية فسأل
 ماذا يريد جرجي بيطار مكافأةً . واذ كان كثيرون قد أشاروا على
 جرجي بان يطلب امتياز الفن الذي اخترعه ، فقد أبى ذلك تواضعاً
 منه ومحبةً لوطنه وللقریب ، وقيل ان جرجي اكتفى بان يلتمس
 من السلطان ان يشمل جمعية القديس منصور برعايته السنية .

على ان جلالة السلطان نقد جرجي مبلغاً وافراً ، وانعم
 عليه بوسام المجيدي الخامس ، وبمدالية الافتخار الفضية ، وقد ورد
 في شهادة الوسام ما نصه :

« أحسنت الحضرة السلطانية ، على قدوة الامثال والاقران ، التجار الفنان ،
 جرجي افندي بيطار ، بالوسام المجيدي الخامس ، مكافأة لما ابداه من العاطفة
 الانسانية ، والخدم الممدوحة ، بمناسبة المعرض الذي شكّل في دار السعادة ،
 ترويحاً للصناعة والزراعة ، في اليوم التاسع من شهر شوال سنة ١٣١٥ »

وورد في شهادة المدالية الفضية ما نصه :

« أحسنت الحضرة العلية السلطانية ، على جرجي افندي بيطار من اهالي

الشام بدالية الافتخار الفضيّة المنشأة لمن يتأزون في الصناعات ، مكافأة له على اتقانه فن الفسيفساء ، وتنشيطاً للاور الزراعيّة والصناعيّة في الممالك المحروسة ، في ٢٧ ذي القعدة سنة ١٣١٥^١ »

وانتهز جرجي فرصة وجوده في اسطنبول ، لزيارة بعض اماكن المدينة الاثرية واهمها جامع أجياً صوفياً ، وكان الياور المذكور يرافقه في زيارته هذه حسبما كتب جرجي قائلاً :

(١) ترجمة حبيب باشا السعد عن اللغة التركية . — هذا الوسام وهذه المدالية محفوظان في متحف دير الخالص .

(٢) في سنة ٣٢٥ شاد قسطنطين الكبير كنيسة على اسم « أجيا صوفيا » (الحكمة القدوسة) في مدينة بيزنطية التي جعلها عاصمة مملكته واطلق عليها اسمه فدعيت القسطنطينية منذ ذلك العهد ، وتعرف اليوم باسم اسطنبول . الا ان تلك الكنيسة احترقت سنة ٤٠٤ في ايام الملك ارКАДيوس فرممتها الملكة بولكاريا ، ثم بنيت بناءً جديداً شرع به وانجزه الملك يوستينيانوس . وقد قال يوماً هذا الملك الكبير عند عبوره في المضيق الذهبي (Corne d'Or) . مقابل ذلك الموضع حيث كان يرتفع البناء : « لا بدان تصبح هذه الكنيسة اجمل الكنائس وابقاها على الزمان » . وقد اشتركت المملكة الرومانية البيزنطية كلها في بناء هذا المعبد العظيم . فالثانية الاعمدة التي كان اوريليانوس قد نقلها من بعلبك الى رومية آتى بها الى بيزنطية ، ومعابد أثينا ومصر ساعدت على تزيين بيت الله القائم على شاطئ البسفور . واما رسم الكنيسة فقيل ان ملاكاً قد اوحى به الى الملك يوستينيانوس وهذا قد عهد بتحقيقه الى ثلاثة من ابرع المهندسين في ذلك العصر هم انثيموس وايسيدوروس واغناطيوس . ومرات كثيرة كان الملك يقوم بنفسه بتفقد الاشغال لكي يستحث همه العمال البالغ عددهم عشرة آلاف ، ومعالي البناء الذين كان عددهم يربو على المئة .

«أخذني الياور مرةً الى جامع أجياً صوفياً، نهار الجمعة.

ان اجيا صوفيا، كما ظل الاتراك ايضاً يسمونها، لا تزال حتى ايامنا آيةً ناطقة بمظمة وغنى الاجيال الماضية . فصاريفها قامت على مداخيل خراج الامبراطورية كلها . وظل الشغل المتواصل فيها ست عشرة سنة . وكان الفراغ من بناء هذه الكنيسة الملكية الفخمة سنة ٥٤٨ . فدُشنت باعياد استقامت اربعة عشر يوماً وقد هبت في نفس الامبراطور نشوة الفرح العظيم فقال في احد اوقات اغتباطه هذه الكلمات المأثورة : « احمد الهى الذي اهلني ان انجز هذا العمل العظيم . لقد غلبتكم يا سليمان ! »

وبعد ما سقطت القسطنطينية في ايدي الاتراك ليلة ٢٩-٣٠ ايار من سنة ١٤٥٣ دخل محمد الثاني الفاتح كنيسة اجيا صوفيا، ولكن لا يظهر من المؤكد انه دخلها راكباً جواده، خلافاً لما ورد في التواريخ التقليدية . وما ان وقع نظره عليها حتى ملكته منها تلك الروعة الفائقة فأبى تعطيلها بل امر بابقائها كما هي وبتحويلها الى جامع . واول مأذنة رفعت لها قامت بامر الفاتح نفسه . واضيف اليها مأذنتان أخريان في ايام سليم الثاني والمأذنة الرابعة قامت في ايام مراد الثالث سنة ١٥٧٣ . وفي عهد هذا السلطان وُضع فوق القبة هلال عظيم من شبه (بروتز) كلف على ما يظهر ما يعادل قيمة ٥٠٠٠٠٠ فرنك (٥٠٠٠٠٠ دوكا) ويؤكدون انه يرى من اعلى قمم جبل الاولمب في بلاد اليونان .

وفي ايام السلطان عبد المجيد قد صار ترميم عام للجامع وحينذاك امر هذا السلطان النبي بان تعطى الرسوم المسيحية ، وقبل كل الصليب البيزنطي، بقشرة من الكلس الاحمر . وقد عهد بهذا العمل الى مهندسين من بلاد سويسرا اسمها غسبار ويوسف فوساتي . فتم ذلك بين سنتي ١٨٤٧-١٨٤٩ . وهكذا حُجبت عن الانظار اشارات الديانة المسيحية . ولكن ذلك كان مدعاة لحفظها في

فادخلني الى ذلك الجامع العظيم ، وقت صلاة الظهر . وكان الجامع
ملاّن من الناس الى الابواب وكلهم راكعون ويصلون ، وهم
مصنفون مثل العساكر . وكناً انا والياور نمشي بين هذه
الصفوف ، ولا واحد من هذه الصفوف العديدة رفع نظره الى

طلاتها العجيبة وبهائها النادر المثال . فما بعد احكام الله عن احكام البشر
في شهر حزيران سنة ١٩٣١ قرّر مجلس وزراء حكومة انقرة الكشف عن
فسيفساء اجيا صوفيا وأسند هذه المهمة الى المعهد الاميريكي البيزنطي . ومنذ شهر
كانون الاول من السنة نفسها أخذ هذا المعهد يهتم بدرس ذلك المشروع الخطير
تحت اشرف مديره العالم القدير توما ويتمور . وبعد البعث طويلة ودقيقة
من الجهة التاريخية والفنية شرع المعهد بتحقيق هذا العمل العظيم وعهد بالقيام
بأعمال الكشف الى المهندس ماراغوني والى بعض الاختصاصيين في فن الفسيفساء
الذين جي بهم خصيصاً من مدينة البندقية .

ومنذ ذلك الوقت الى ايامنا لا يزال الشغل على قدم وساق تحت رعاية
واشراف الحكومة الكهالية المتنورة المقدرة اعمال الفن الحقيقي حق قدرها .
وفي سنة ١٩٣٥ ظهر قسم كبير من التصاوير ونقوش الفسيفساء والآثار
المسيحية بعد ما رفعت عنها تلك القشرة الكلسية الحمراء ، قشرة الجهل والغاوة
والتعصب ، فاصدرت الحكومة التركية قراراً خطيراً يمكن اعتباره فارق عهدين
في التاريخ ودليل عقلية جديدة في الشرق ، وهو تحويل اجيا صوفيا من جامع
الى متحف فني وطني .

هذه هي التطورات التي توالى على هذه البناية العظيمة المنقطعة النظير
بقدميتها وفنها وجلالها الفتان . ولا نعلم ماذا يجبا لها المستقبل والعناية الالهية من
تطورات اخرى لانها لا تزال مطمح انظار المسيحيين وخصوصاً الاغريقين منهم
الذين يعتبرونها عنوان شجر ديني وقومي مماً .

الياور والى الذي يمشي معه وقت الصلاة بين هذه الصفوف المتخشعة .

«فتنهدت، وقلت بقلبي : يا ليت المسيحيين ، حين وجودهم ضمن الكنائس يكون عندهم هذا الخشوع ، وقت صلواتهم والذبيحة الالهية . وفاديننا الالهي يسوع المسيح قال لنا بضمه العزيز إذا اجتمعتم باسمي اثنين او ثلاثة فانا اكون في وسطكم . فضروري إذن وقت وجودنا في الكنائس ، ونحن موجودون ليس اثنين او ثلاثة فقط ، بل جمهور كثير من المسيحيين وجملة كهنة ، وهم تلاميذ يسوع المسيح ، الذي وقف امام عبده بيلاطس البنطي ككذنب لاجلنا ، ونحن مملوون من الذنوب والجرائم الكثيرة ، ضروري ان نكون واقفين امامه بكل احترام وخشوع ، كالعبد المتذلل امام سيده ، لكي يغفر لنا خطايانا الكثيرة التي فعلناها بكل حياتنا .»

ولم يغفل جرجي ، حتى في مدة إقامته القصيرة باسطنبول ، عن مساعدة المحتاجين الذين كانوا يلتجئون اليه . ودونك ما كتب في هذا الشأن :

« كنت ماشياً مرة في احد شوارع اسطنبول ، فنظرت رجلاً فقيراً واعمى ، وهو مصري الاصل . وكان يصرخ بلجاجة ويقول كلاماً بالعربي : يا أخونا الله يخلي لكم نظركم ، وكان

يتسول ويقول: دخليكم، حسنة اثم يقول بصوت عالٍ: دخليكم
 دلوني علي بيت الادب . فأتيت اليه وقلت له : تعال يا أخي .
 وحيث إنه فقير ، اعطيته حسنة . فبقي وقتاً طويلاً وهو يدعي
 لنا من كل قلبه . وبوقته لم يكن احد في كل الشوارع يفهم
 الكلام العربي غيري انا وهذا الكفيف المصري المسلم . وانا في
 عادة ، كلما نظرت اعمى كفيفاً ، في اي شارع او طريق ، آتي اليه
 وامسكه بيده واقول له : تعال يا اخي حتي اوصلك الي المكان
 الذي انت ماضٍ اليه .»

وعاد جرجي الي دمشق ، فشمّل الفرح آل بيته وجيش
 الفقراء ، الذين كانوا ينتظرون قدومه متعطّشين الي حسناته . ولكنه
 على اثر وصوله مرض مرضةً كادت تودي بحياته .

كان جرجي قد انتقل من منزله في الحارة الجوانية الي بيت
 كان بنسأه قرب حارة اليهود . فذات يوم شعر بألم في رأسه ،
 ولم يزل به حتى اقعده عن كل حركة ، وكاد يغيب عن وعيه ،
 من شدة الألم والحُمى التي اعترته . فلاماً انتشر خبر مرضه ، تصعدت
 الصلوات لاجل شفائه ، من جميع صدور الفقراء . وكان جميع
 طوائف الحارة من يهود واسلام ومسيحيين ، يصرخون بصوت
 واحد : فليشف الله لنا ابا الفقراء ، وعبثاً استدعي الاطباء ،
 الواحد تلو الآخر . وإذ كان آله قلقين على حياته ارتأوا ان يؤلفوا

له جمعية من اشهر الاطباء برئاسة الطبيب المشهور حينئذ المسيو بوايه ومعاونه الطبيب توفيق جهلان . وكلما حضر هؤلاء الاطباء لمعالجته ، كان الفقراء ينتظرون خروجهم من بيت المريض العزيز ، ليسألوهم بلهفة المضطرب الجازع عن حالة ابينهم المحسن اليهم .

فاما شعرت إحدى بناته بخطورة حالته ، حملتها عاطفتها النبوية على الاقتداء بموسى النبي ، وكانت قرأت عن هذا النبي ، انه كان يرفع يديه وهو يصلي الى الله لاجل شعبه ، ولا ينزلها حتى ينال منه تعالى النعمة التي يطلبها .

فليلة ما ، اذ حضر الاطباء لمعالجة والدها ، ركعت هي في إحدى زوايا البيت ، متخفية عن اعين الجميع ، وصلت الى الله لاجل والدها ، رافعة يديها الى السماء ، ولم تزل على هذه الحال حتى اهم الله الاطباء ، ان يعالجوا المريض بان يسحبوا الدم من راسه ، بواسطة العلق . وكان الشفاء في هذا العلاج .

ولم تكتف تلك الابنة التقية بما فعلت ، فذهبت وهي ممتلئة ايماناً وثقة الى معبد العذراء سيدة لورد ، فانطرحت على قدمي العذراء ، وقالت لها بمحبة واخلاص : « استحلفك يا عذراء ان تاخذيني انا بدلاً من ابي . انا ليس بي عازة ، اذا رحمت ، واما والدي فالفقراء يحتاجونه . خذيني مطرح ابي » .

وكانت تقرن هذه الصلاة اللطيفة ، والعاطفة الشهمة ،

باماناتٍ تتناسب وحالتها ، فقد اكلت طيلة مرض والدها ، خبز
 الفقراء ، ناثرةً عليه التراب ، بدل الزعتر والزيت . واخيراً زال
 الخطر ، واستعاد جرجي صحته وقواه شيئاً فشيئاً ، وشكر الله
 تعالى على هذه النعمة . وقد جاء شفاؤه بعناية الله ، نعمةً في اخرج
 الاوقات . فان دمشق ابتليت ، تلك السنة عينها ، بالهواء
 الاصفر . فقام جرجي ، هو وجمعيّة القديس منصور ، لمساعدة
 المبتلين بذلك الوباء الخبيث ، غير حافل بالخطر المحدق به ، واذ
 خشيت امرأته التقيّة ان يكون سبب عدوى لاولاده ، طيّب
 خاطرها وقال لها : « ان الله منّ علينا بالصحة لنخدم اخوتنا
 المرضى . » فكافأه الله بان ابعد شرّ العدوى عنه وعن اسرته .
 (لها تابع)



ملازمات الحياة

ثمانية في الناس مكتوبة لهم
 وكلُّ أمرىء ، لا بدّ ، يليق الثمانية :
 سرورٌ وحزنٌ ، واجتماعٌ وفرقةٌ
 وعُسْرٌ ويُسرٌ ، ثم سُقمٌ وعافيه

تابع لتاريخ رهبانيتنا

بقلم الاب قسطنطين الباشا ب م

فانا اومن بكلماتؤمن به وبارك كلما هي تبارك والنعن كلما هي تلحن .
 فهذا نذري . والانجيل الذي وضعت عليه يدي هو شاهد علي مع ناقل هذه
 الوثيقة نائي ووكيلي الشمس ابراهيم فينان بحضور الاب الخوري سارافيم والقس
 باسيليوس الابرار . وعلى يدهم انا عاهدت ربي ان اركز بهذا الايمان وارشد به
 رعيتي على مقدار قوتي الى آخر نفس من حياتي . والله عوني ورجائي على اكمال
 مقصودي . وخطي وختمي على رسالاتي المرسله مع ووكيلي المذكور يشهدان علي .
 جرى وحرر في اليوم العاشر من شهر تموز سنة ١٧١٦ ستة عشر وسبعماية
 والف مسيحية .

رسالة من المطران جراسيموس الى البابا

قدس قداسة سيدي الاب العام البابا الكليمنتوس الحبر الروماني الكلي
 الغبطة دامت رياسته آمين

والذي ننبيه بين ايادي قداستكم هو ان حضر الى عندنا لقرية سيدنايا في
 دير العذراء المعمور في اول شهر تموز من شهر سنة ١٧١٦ تلميذكم الاب الخوري
 سارافيم الاكرم ابن اخت مطران صيدا ومعه تلاميذ خاله المطران المذكور
 القسيس باسيليوس شاهين والشماس ابراهيم فينان والمذكورين اوضحوا لنا ما هو
 واجب علينا معرفته من حقائق الايمان الكاثوليكي وتقديم الطاعة الواجبة
 للكرسي البطرسي الروماني الذي كل من يجيد عنه ليس له خلاص . فنحن
 نشكر الله الذي من علينا في هذا الزمان بعرفة حقائق الكنيسة الرومانية ام
 ومعلمة جميع الكنائس التي هي عمود الحق واساسه .

فانا يا سيدي بعد ما وقفت على كلام المذكورين فخصت عنه في كتب ابواتنا
 معلمين وقديسين بلاد الشرق فرايت ان جميع ما اثبتوه لنا هو راي معلمين كنيستنا

وراي المجامع المقدسة بعينه . وانما هذا الانفصال عن كنيسة رومية الكاثوليكية وهذه الغلطات الطارئة علينا هي من بعض اشقيا معاندين الحق . فلاجل ذلك صدقت وثبت جميع قواعد ايماني على حقائق الكنيسة الرومانية المقدسة ورفضت جميع ما كنت سالكاً به من الغلطات والعتاد في الحق الواضح وكتبت منشور ايماني في صحيفة تتضمن ما او من به جملة وتفصيلاً . وهي مقدمة لقداستكم تشرفوها بنظركم الشريف وتقبلونا في حضن الكنيسة المقدسة وتنعموا علينا بالبركات الرسولية حتى يكون سلطاننا ثابت بتأييد الكنيسة المقدسة وتمنحونا حلة من الغلطات والمعاندات التي سلكنها بها بالغشم قبل قبولنا حقائق الايمان خصوصاً من (اجل) اخذنا درجات الكهنوت من يد رؤساء مشاقين وانا منذ الان ايها الاب الاكرم الطوباني عاهدت ربي عهداً كاملاً بحفظ حقايق الايمان الروماني ونذرت على نفسي نذراً حقيقياً باني على هذه الامانة احبى وعليها اموت واكرز واعلم بها لمن هو تحت طاعتي وتديري . وهذا خط يدي وامضاي وختمي يشهدان علي كما في حضور الخوري سارافيم والمذكورين معه اعلاه .

اشهدت على نفسي الله والانجيل المقدسة بان هذا نذري والله عوني .

كتب في دير صيدنايا دير سيدتنا مريم العذراء في يوم العاشر من شهر تموز

سنة ١٧١٦ بسنة عشر وسبعماية والف

احقر تلاميذ قدسكم

جراسيموس مطران صيدنايا

رسالة من المطران ذاته الى مجمع انتشار الايمان

جناب حضرة سادتي الكردينايية الكرام الكلبي الشرف والوقار

اصحاب المجمع المقدس زيدت فضائلهم .

بعد تقديم الطاعة والخضوع نعرض بين ايادي جلالتكم هو ان لما كان

اول شهر تموز من شهور سنة ١٧١٦ حضر لعندنا الاب الخوري ابن اخت السيد

المطران كيوريوس افثيميوس مطران صيدا ومعه قسيس وشماس . ولما واجهونا

تكلموا معنا بخصوص حقائق الايمان الكاثوليكي المقدس . وبعد فحص كلي

اقبلونا من كتب معلمين كنيستنا . ولاجل ذلك التزمنا ان نقر بالحقائق التي
 انظرت لنا من المذكورين . وطلبوا منا ان نكتب صورة ايماننا ونقدمها
 لسيادتكم ولسدة البابا اكليمينوس الحادي عشر . فالمراد هوذا الآن نخبر
 سيادتكم باني انا الحقير المطران جراسيموس مطران صيدنايا اومن وأصدق
 واقبل وأكرم جميع ما تؤمن به وتعتقده الكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة
 الرومانية التي هي ام ومعلمة جميع الكنائس . وهي تحت تدبير رأس واحد
 اعني به خليفة مار بطرس ونائب سيدنا يسوع المسيح والرئيس العام لها .

واومن بجميع ما تضمنه قانون الايمان المستعمل في الكنيسة المقدسة
 المذكورة الذي هو اومن باله واحد الى تمامها .

واومن بجميع المجامع التي صارت اولاً واخيراً وهي التي تثبتت بسطان
 الخبر الروماني نائب المسيح المحفوظ من الغلط في الايمان المقدس .

وايضاً اومن واقبل ما تثبت في المجمع الفلورنتيني وهو ان روح القدس
 منبثق من الاب والابن صادر من كليهما صدوراً ازلياً بنفخة واحدة اذلية .
 وان الانفس البارة حين انفصالها من اجسادها ترتقي الى السموات وتشاهد اللاهوت
 مشافهة (مواجهة) . واما نفوس الخطاة وقت انفصالها من اجسادها في حال الخطية
 المميتة تهبط الى جهنم الابدية بسرعة . والانفس التي تنفصل من اجسادها وهي
 ماوثة ببعض هفوات عرضية وبعض قوازين مميتة (مهمة) وهي نادمة فهي توفي
 ما عليها في نار المطهر وهناك تفيدها القدايس والصلوات وافعال البر المقدمة
 عنها من المؤمنين في هذا العالم . وحين مطهرها ووفائها ترتقي الى السما بقتة .
 وان القدايس يكتمل بواسطة الكلام الجوهري المقال من الكاهن على الخبز
 القمحي فطيراً كان او خميراً . وان كل واحد ملتمم بحفظ طقس كنيسته
 شرقية كانت او غربية .

وان البابا الروماني هو خليفة مار بطرس ونائب سيدنا يسوع المسيح على
كنيستته التي خارج عن هذه الكنيسة الكاثوليكية ليس يوجد خلاص . وانا
بالجملة اومن بكلاما تومن به وباركك كلما هي تباركه والعن كلما هي تلغنه .
هذا نذري والله عوني .

ثم اني هوذا مرسل لنحو سيادتكم الشمس ابرهيم تلميذ الاب المطران كبير
افثيميوس المكرم ومرسلين صحبة المذكور رسالاتنا هؤلاء . اعند اخينا المطران
افثيميوس ليطلع عليهم ويوجه بهم ولدنا الشمس المذكور لنحوكم لكي يكون
نائبنا بتقديم رسالاتنا وطاعتنا لحضرة الخبر الاعظم ولسيادتكم . والمذكور
وقف على قرارنا مع الاب البار الحوري سارفيم الاكرم ورفيقه القس باسيلوس .
وعلى يدهم انا عاهدت الله بذلك وحلفت على الاناجيل المقدسة ونذرت على
نفسى اركز بهذا الايمان الى آخر حياتي واعلمه الى رعتي ولمن هو تحت تدبيرى
بقدر قوتي . وهذا امضائي وختمى يشهدان على والله عوني .

كتب في دير صيدنايا دير سيدتنا مريم العذرى في يوم العاشر من شهر تموز
في سنة ستة عشر وسبعمائة والى للتجسد الالهى . احقر المطارنة

جراسيموس مطران صيدنايا

﴿ محل الختم ﴾

(١) هذه الرسائل الثلاث نشرت صورها في كتاب تاريخ صيدنايا صفحة ١٨٠
وما يليها وهي منقولة عن سجلات مجمع انتشار الايمان مما نقلناه عنها سابقاً وترجمت الى
الايطالية ونشرت بالطبع في مجموعة المجمع في المجاد السادس والاربعين من مجموعة
Mansi وهو العاشر من الملحق الخاص بالروم الملكيين

﴿ الفصل الثامن والثلاثون ﴾

في انجاز ونمام انمار البطريرك كيرلس ومطران صيرنايا

لما بلغ رومية نواب البطريرك والمطران السابق ذكرهم عرضوا على مجمع انتشار الايمان الرسائل التي معهم من البطريرك ومطران صيدنايا ومطران صيدا وقنصل فرنسا فيها واوضحوا لهم غاية قصادتهم وطلبوا التشرف بمقابلة الحبر الاعظم لمخاطبته بما قدموا لاجله الى رومية . واذ اجتمع اصحاب المجمع في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٧١٧ تليت عليهم هذه الرسائل ونظروا ملياً في صورة اعتراف البطريرك كيرلس بالايمان الكاثوليكي وكذلك نظروا في صورة اعتراف مطران صيدنايا فوجدوا انهما غير وافيتين بايضاح الايمان الكاثوليكي الايضاح التام كما ينبغي كالعادة الجارية لذلك العهد في رومية كسنة لا تخالف فيما يخص الشرقيين اي لم يمضيا صورة الاعتراف بالايمان الكاثوليكي المطبوعة باليونانية واللاتينية المقررة للروم من البابا غريغوريوس الثالث عشر ولا الصورة المطبوعة باللاتينية والعربية المقررة لجميع الشرقيين من البابا اوربانوس الثامن . ومن ثم اوعزوا الى الوفد بان يرجع واحد منهم الى الشرق لمراجعة البطريرك والمطران بامضاء وختم صورة الايمان المنسوبة للبابا غريغوريوس الثالث عشر اعتماداً على ان الايمان الكاثوليكي كله حق يجمع عقائده ويجب ان يكون الاقرار به

كاملاً صريحاً لا اشكال فيه ولا ابهام . واذ تقرر ان يقوم بهذا السفر القس جبرائيل فينان ارسلوا معه نسختين مطبوعتين من صورة الاعتراف المنسوبة للبابا غريغوريوس مع رسالة بهذا الشأن الى المطران افثيميوس ورسالة ثانية الى قنصل فرنسا في صيدا (Boullard) ليساعدا القاصد المذكور باتمام عمله لدى البطريرك كيرلس والمطران جراسيموس ليعود سريعاً الى رومية بصورة اعترافهما القانونية كما جرى على ما يتضح ذلك من جواب المطران والبطريرك بهذا الشأن فيما يلي وقد نقلناهما عن سجلات مجمع انتشار الايمان

واذ كان قنصل فرنسا في صيدا Boullard صديقاً للبطريرك كيرلس كما كان ايضاً صديقاً للمطران افثيميوس وكان له بهذا الشأن يد تذكر وتشكر من اول الامر ينبغي لنا ان نورد هنا ما كتبه له البطريرك كيرلس جواباً على رسالة كتبها له بعد عودة القس جبرائيل من رومية ونعدل عن ايراد ما وقفنا عليه من الرسائل المتبادلة بينه وبين البطريرك ورومية بهذا الشأن مما لا يخرج معناه عما نشرناه قبلاً . قال البطريرك بعد المقدمة المألوفة

... اولاً مزيد الاشواق اليكم . ثانياً ان سألتم عنا فاننا من كرم المولى بكل خير مقيمين على وظيفة الدعاء . وبعده نخب محبتكم بانه وصل لنا مکتوبكم وقزيناه وفهمنا ما ذكرتم وحمدنا الله تعالى على سلامتكم الذي اتم بخير . وذكركم لنا بان المکتوب الذي كتبناه للكردينال ألباني ما هذا هو اسمه لكن اسمه سكرينيتي . فيما حبسني نحن ايش يعرفنا في هذا او في هذا ؟

لكن هكذا كتب لنا الخوري سارافيم من هناك عن اسمه . وكتبوا لنا ورقة رومي حتى نختتمها . انا بالرومي ما اعرف وما احد قدر يفسرها في الشام بعثتها الى حلب حتى يفسروها وتجي . وبتى كل شي . قلته سابقاً كتبناه لكم وما خلسنا شي . ناقص .

واصل لك مكتوب عوض المكتوب الذي رديته الى الكردينال . وايضاً الورقة التي كتبتها عندك وارسلتها لنا حتى نمضيها لك امضيهاا وبعثناها لك وصورتها هي عندك في السابق . لزم اعلام محبتك بذلك . وبعده نهدي منا البركة الى توابعك ومن يلوذ بك والى سائر الطائفة (الفرنساوية) ومن يسأل عنا والبركة عليكم

والان اذ نظرنا ورقة الرومي تعوقت في حلب فطلع عند البادري توما (ريس رهبان مار فرنسيس في دمشق) واحدة عربي لاتيني نختمنهاا وهي واصلة اليكم ثم اصل لك غلبة فيها كم . سبعة وثلاث صلبان كبار . . .

ولكن ما فعلته (حسن) بسبب قلة جيئة القس جبرائيل (فينان) لان اليوم الشام ربنا يلطف بعباده بسبب هذه الامور . وبعده نهدي منا البركة الى ترجمانك والى بقية الطائفة عموماً وعمرك يطول .

وحكاية (قضية) دير ناطور والقرصان ما اخبرتنا كيف عملت فيها . . .

كيرلس

سطر في ١٦ تشرين الاول سنة ١٧١٧

البطريرك الانطاكي

(١) يظهر ان دمشق كانت حينئذ باضطراب زائد ونظن ذلك كان بسبب او على اثر قتل ناصيف باشا . بعودته من الحج من جركس باشا الذي تولى دمشق مكانه .

حضرة الاخ العزيز منصور كارافا المحترم^١

... نعرض لسيادتكم بانه بلغنا علم انتخابكم هذه الوظيفة المقدسة فشكرنا الله الذي زين كنيسته بسيادتكم ولذلك فرحنا وانسرينا في الغاية ولم نزل متوسلين نحو فضله تعالى ان يديكم ويرقيكم الى الرتب العالية لكي بواسطةكم تنتفع كنيسة المسيح وينمو بغيرتكم الايمان المقدس ويتمجد ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح الى الابد امين .

ايضاً وصل ولدنا القس جبرائيل فينان المكرم مرسل من طرفكم وصحبته المكاتيب المرسله من المجمع المقدس لنا ولحضرة القنصل المكرم . بخصوص قضية البطريرك كيرلس الكلي الوقار وقضية اخينا المطران جراسيموس وقد تم الشغل على موجب مكاتيبنا للمجمع المقدس التي منها تفهموا الامور ومن الرسول المذكور ايضاً .

وكذلك ارسلت في مكاتبي الى المجمع المقدس بخصوص بعض قضايا نتوسل اليكم لتعملاوا غيره على اشغالنا في محبة الله وفي نقلها من اللغة العربية الى اللغة الايطالية مع ابن اختنا او غيره لتعرض على المجمع المقدس ويرسل لنا الجواب الشافي . وكذلك نطلب من الله ان يكون بعونكم وينجح اموركم امين .

وايضاً كنا سابقاً بعثنا من عندنا تلاميذنا الحوري اسطفان ريس دير المخلص والقس باسيلوس المكرمين لعند مطران صيدنايا الكلي الشرف والاخ العزيز بالله وطلبنا منه ان يجتم امانة الخبر اوربانوس الثامن فخطمها بيده وارسلها لعندنا مع تلاميذنا المذكورين . ولما ورد مكتوب المجمع المقدس باسمه ارسلناه ليد المعلم منصور المكرم المحامي عن ابناء الكنيسة فابقاه لانه قال هذا رجل مضمون التبعة وارسل (المطران) امانة اوربانوس الثامن محتومة وممضية بشهود

(١) Carafa جعل حينئذ كاتم اسرار مجمع انتشار الايمان .

المرسلين اليه وهي الان واصلة لكم مع القسيس جبرائيل فقدموها الى المجمع المقدس . فان شاء الله تكون مقبولة عند نيافتهم جداً ويكرم اخونا المطران المذكور لانه رجل غيور على شعب الله . واتحاده مع الكنيسة . من كل قلبه . وهو الذي كنا اخبرنا المجمع المقدس به منذ اربع سنوات لما رأيناه مستقيم الايمان سبعينا في اقامته قهراً عن المشاقين . فنسأل سيدنا يسوع المسيح ان يشرق نعمته في قلوب بقية الرؤساء ليكونوا مثله لتكميل الاتحاد في زمانكم وننظره باعيننا قبل المات وينجح امورك لتمجيد ربنا يسوع المسيح . افثيموس بنعمة الله
سطر في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٧١٧
مطران صور وصيدا
ابن الكنيسة الرومانية

رسالة من المطران افثيموس الى مجمع انتشار الايمان

سادتي الكردينا لية الكلي النيافة المحترمين . . .

بعد تقديم الطاعة والخضوع لمجمعكم المقدس نخبر نيافتكم انه قد وصلت مكاتيبكم مع ولدنا القس جبرائيل فينان رسولكم المكرم الاول منهم الذي تاريخه شهر نيسان والاخير تاريخه اواخر تموز وهو المختص بقضية البطريرك كيرلس الكلي الاحترام . فيكون معلومكم انه من حين الذي توجهوا من طرفنا اولادنا الروحانيين الخوري سارافيم طاناس والقسيس جبرئيل فينان المكرمين ما كفيينا من المكاتبة لسيدنا البطريرك المذكور لكي نثبته ونشجعه في الايمان المقدس . وقبل وصول مكاتيبكم المذكورة الينا كنا ارسلنا سُرنا عليه وعلى المطران جراسيموس المكرم بان يمضوا بخط يدهم ويحتتموا بختهم امانة اوربانوس الثامن ويرسواها لنيافتكم . والان لما وردت مكاتيبكم لنا ولحضرة عزيزنا مسيه بولار الكلي الغيرة في كنيسة المسيح مع القسيس المذكور اعلاه وعرفنا منها مطلوبكم من البطريرك والمطران المذكورين وهو ان يعطوا

خطوطهم وختومهم في امانة غريغوريوس الثالث عشر تشاروناً مع حضرة عزيزنا مسيه بولار في تسميم هذا الامر فرأينا الاصوب ان نرسل المكاتيب عاجلاً لحضرة البطريك فارسلناها مع ساعي وابقينا الرسول عندنا في صيدا لاجل اسباب ضرورية وبعض الامور حتى يصير كل شي . بتميز وتكمل الامور على سلامة حتى اننا ما ارسلنا المكاتيب ليد البطريك راساً بل ارسلناها ليد رجل عزيز غيور في الايمان وكلمته ماضية عند البطريك ومسموعة عند الحكام الترك وهو ابن عمنا السيد منصور صيني . فهو تسلم المكاتيب وكل الاشغال كلها بسلام واخذ الجوابات الواصلة اليكم مع حضرة القسيس المذكور

واما سبب عدم امضاء امانة غريغوريوس التي ارسلتموها لهم ليس هو لاجل انهم ليسوا عارفين باليوناني واللاتيني . ولاجل ذلك امضوا امانة اوربانوس الثامن المطبوعة باللاتيني والعربي في مبتداها ومنتهاها . وذلك لكي يوضحوا بهذا النوع انهم ما طبعوا شيئاً الا عارفينه وفاهمينه وقابلينه . ونشكر الله الذي ما نتجت هذه الثمرة الكبيرة لاتحاد الايمان الا بواسطة تلميذ من تلاميذ البروباغنده .

ايضاً ياسادتي ما ذكرته عن القضايا التي كنا طلبناها سابقاً من حضرة الجمع رد لنا الجواب بانها هي تحت سلطاننا وفي يدنا بسبب انها قضايا صغيرة . ونحن ما كنا طلبناها الا لسبب النفع الذي ينتج منها ولرفع بعض الشكوك (التلاقل) ونحن بعون الله تعالى ولو عرفنا ان من الواجب علينا ان نرفع بعض قضايا مضرّة ونستعمل بعض قضايا نافعة حسب رأي الآباء القديسين والكنيسة المقدسة الرومانية الا اننا مع ذلك بمشورتنا للجمع المقدس لتوضح بهذا كمال طاعتنا وغيرتنا في رفع الزوان من كنيسة الملكية الذي اوجده بطاركة ومطارنة الروم بعد انشقاقهم من الكنيسة الرومانية المقدسة ام ومعاملة جميع الكنائس التي كل من تاه عن رأيا ضل وهلك .

ايضاً ياسادتي نخبركم الان انه قد تظاهر (نما) بزيادة انتشار الايمان

(الكاثوليكي) ليس فقط في الابرشية الانطاكية بل في بلاد القدس وغيرها .
 ولما عرف بهذا بطريك اسطنبول و بطريك القدس المشاقين وبلغهم ان سبب
 ذلك من حقاتنا ارادوا يضهدونا بكل قوة بمساعدة الترك . ونحن لله الحمد
 متكئين على نعمة الله لكي يخلصنا من شرهم الجيث . وخصوصاً بسبب انه ورد
 اليهم مكاتيب من المخالفين بان ما خرب كنيسة الروم الا افثيميوس مطران
 صيدا الذي هو قائم عنده كهنة على رأيه في هدم اعتقاد الروم واقامة كنيسة
 رومية حتى بطريك اسطنبول و بطريك القدس كتبوا الى بطريكنا كييرلس
 الانطاكي كي يقاصصنا . وذكروا له ايضاً انه ان كان لا يقاصصنا ويردنا عن
 راي الكنيسة الرومانية والا طلبوا عن اجازته والدستور منه حتى انهم هم
 يضهدونا . واذا ما كفت قوتهم يقاصصونا بقوة الترك . فحضره بطريكنا
 المذكور جاوبهم قائلاً ما اعطيكم دستور في احد من مطرانتي الذين في ابرشيتي .
 وان لزم الامر فضعوا يديكم عليّ انا خاصة عوضهم . فلما رأوا منه هذا الجواب
 كفوا . ومن بعده ما نعرف كيف سكتهم^١ .

ثم ياسادتي انا عبدكم الذي لي منذ ٣٥ سنة قدمت طاعتي للكنيسة المقدسة
 الرومانية وقدمت دمي ايضاً في محبة المسيح وكنيسته وفي كل يوم مضى من
 الزمان المذكور كنت تحت خطر القتل تارة من بطاركة اسطنبول وتارة من
 بطاركة القدس وتارة من اعداء الصليب حتى الى هذه الساعة . بل بقية عمري
 كله وقد اضعفت كل مالي وما املك وصار علي بهذا القدر ديون . ومع كل

(١) سنتحقق في سياق هذا التاريخ ان هذه الاخبار ليست مجرد اوهام او من

باب التوهيم من المطران لرومية

(٢) لا يعلم غير الله والراسخين في تاريخ النصرانية في تركيا لذلك العهد صدق
 هذا الكلام وشجاعة نفس المطران وتلاميذه واصحابه الكاثوليك حتى تغلبوا على كل
 هذه المخاطر والمخاوف وبدلوا نفوسهم في سبيل الايمان الكاثوليكي الكثر المخفي
 الذي هو فوق كل ثمن وقيمة .

ذلك لم نزل نحن وكهنتنا مجاهدين الى اخر حياتنا . وليس لنا قصد اخر بذلك
 الا اقامة الايمان المقدس وطاعتكم . . . الذي نفقناه لاجل اقامة شعب مقدس
 ليسوع المسيح في هذه البلاد ما نظرنا اليه . وذلك لاني اعرف هذا جيداً انه
 منذ مدة اربعين سنة لما كنت في دمشق ما كان يوجد فيها من يعرف الجمع
 المقدس والخبز الاعظم الا بعض اناس غشهم كان احسن من معرفتهم . فن
 غيرتي كنت اعطي للرسولين الذين في الشام حسنات ليدفعوها الى الفقراء ابناء
 طائفتنا حتى عياوهم نحو الايمان بسبب الرحمة . والان بنعمة الله ايمان الكنيسة
 الرومانية قد انتشر ايس فقط في الابرشية الانطاكية بل في كل ابرشية مصر
 والقدس . وجملة اناس ليسوا بقليلين هم الان قائمين بالايان الروماني المقدس
 ومراسلاتهم لا تنقطع عني لمعرفة الايمان حتى من (اهل) الكرسي القسطنطينية
 ايضاً لان الذي يحضر منهم الى اساكل ابرشيتنا صور وصيدا صاروا يذعنوا
 للحق لان من النظر والسمع شبكة مار بطرس اقتنصتهم . وانا كنت اتقى من
 فضل الله لو يكون عندنا في طرفنا اناس من اولاد الكنيسة سالمين الغرض
 يطلعوا على كامل الامور عندنا ويجربوكم بكافتها حسبما تقتضيه ذمتهم . ولهذا
 اترجى من الله ان يكشف لكم ضميري ونيتي واتعالي حتى تنظروا الينا بعين
 الشفقة . لاني ولو كنت حاملا هذه الاتعاب جميعها الا اني دائماً افتكر في
 عظم اتعابكم التي انتم دائماً متحملينها لاجل تدبير الكنيسة والماليك المطلوبة
 منكم وللاجل ذلك نحن كافة نلتجى الى الله تعالى في مساعدتكم ومعونتكم
 كما يلزم ذمتنا

ثم يا سادتي من خصوص كتاب الاخفولوجي الذي طلب طبعه حضرة سيدنا
 البطريرك زجو من صدقاتكم تعجلوا له في طبعه لان بسببه ينتج خير عظيم في
 بلادنا وينتهي عزم المشاقين لمحبة الكنيسة والاتحاد بها

وايضاً من خصوص بقية القضايا التي طالبها من سيادتكم البطريرك المذكور نرجو من فضلكم تكملوا له كلما يمكن تكميله لانه على ما اطمانا من حقيقة اتحاد مع الكنيسة المقدسة نيته في هذه القضايا صالحة فنرجوا اكرامه لان اكرامه واجب لانه يطلع بيده كل شي. صالح في حق الكنيسة .
ونسأل الله ان ينجح اموركم لمجده الالهي امين . عبدكم المطيع
سطر في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٧١٧ افثيميوس مطران

صور وصيدا

ابن الكنيسة الرومانية

اذا كان المكتوب دليلاً ناطقاً على نفس كاتبه وترجماناً صادقاً لما يضمّر في نفسه فان هذه الرسالة النفيسة تظهر لنا بلا محالة ان المطران افثيميوس كان ذا نفس كبيرة كريمة وشخصية بارزة ممتازة بشجاعته وثباتها وصبرها على تحمل الحن والمكاره في سبيل الله وبعده نظرها في مقاصدها واعمالها الرسولية فلم يكن ينحصر نظره واعمال غيرته ضمن حدود ابرشيته في صور وصيدا ولم يقصد الخير لفريق او لطائفة صغيرة من الروم من الابرشية الانطاكية، بل كان يتوخى باعماله اتحاد جميع الروم في الكنيسة الكاثوليكية لتعود كنيستهم كلها كاثوليكية كما كانت قبل الانشقاق . ولهذا لم يكن يبالي في سبيل ذلك بنحسارة الاموال ولا باحتال الحن والاعتاب والاضطهاد من بطاركة الروم ومن بطريركه الخاص . وكان يدرك تماماً ما ينتج من الخير العميم اذا اعلن البطريرك كيرلس اتحاده مع رومية لان كيرلس كان يُعتبر وحده البطريرك

الانطاكي الحقيقي عند كل البطاركة الشرقيين من الروم وغيرهم ما عدا رومية لانه باتحاده مع رومية يجعل سبباً لاتحاد كل مطارنته ولكل الاكليروس والشعب التابعين لابريشية البطريركية الانطاكية . فتعزز لا محالة بهم كنيسة الروم الكاثوليكية في جميع البلاد الشرقية ويرتفع او يزول الاضطهاد اللاحق بهم لقلّة عددهم لا اعتبارهم عند اضدادهم انهم طائفة مستضعفة قليلة قد تضحل بالاضطهاد والمحن مع الزمان معها كان صبرهم وصبر رعائهم . ولم يعلموا ان الله مع الصابرين في سبيل الله بايمان خالص

واذ كان اتحاد البطريرك الانطاكي المذكور له شان عظيم بهذا القدر في رومية وفي ابرشيته الانطاكية فلا غرو ان يقوم في سبيل ذلك عقبات مهمة ووجهة من عدة نواحي . واذا كان قد جرى ما تقدم في السر والخفاء فلم يبلغ خبره قطعاً الى بطاركة الروم في القسطنطينية . لكن قام في نفس رومية ومن نفس البطريركية الانطاكية عدة امور صعبة في سبيل ذلك . واخصها ان رومية كانت تُعتبر — اعتماداً على بلاغات رؤساء الرهبان الفرنسيسكان الذين كانوا يقومون لذلك العهد باعمال القصادة الرسولية في هذه الايام — ان البطريرك الحقيقي الشرعي انما هو اثناسيوس الدباس الكاثوليكي وان كيرلس غصبه البطريركية ظلماً بقوة الاتراك ونفاه قهراً من دمشق الى حلب .

واذ سافر الى اسبانيا الاب بلاسيوس الفرنسيسكاني ووكيل

البطريرك بعد عودة الاب جبرئيل فينان الى صيدا بقي الحوري سارافيم طاناس وحده وكيلاً عن البطريرك كيرلس في رومية والتزم ذمة ان يجامي عنه فوضح لذوي الشان في رومية ان اثناسيوس الدباس قد تنازل بكل طوعية عن البطريركية الى كيرلس صلحاً امام المطارنة واعيان الشعب بشروط امضاها جميعهم في اجتماع حافل . ومن ثم اقتضى الحال ان يكتب مجمع انتشار الايمان الى البطريرك اثناسيوس الدباس على يد رئيس الفرنسيسكان في حلب يسأله عن سبب تنازله عن البطريركية هل كان ذلك بطواعية منه ورضى ام كان ذلك عن قهر واضطرار .

فكتب البطريرك اثناسيوس الجواب في الرسالة التالية التي وجدناها في سجلات مجمع انتشار الايمان ممضية بخط يده وختمه قال

الى جناب السادة الكرديناية الكلي الشرف والغايبي الاحترام ضابطي زمام تدبير المجمع المقدس الرفيع الاعلام دام علامم واشيد سنهم .
وبعد فالمنهي لسيادتكم غب اهداء فضلكم ما يجب اهدائه . من بليغ التحيات المقرونة بغزير النعم والبركات ومرادفة الادعية اليه جل شأنه بدوام بقاكم السامي وشرفكم المتسامي هو انه في ابرك الاوقات واسعدها قد وصلت

(١) وجدنا نسخة من هذه الرسالة في مجموعة خطية معروفة بعجالة راكب الطريق لنعمة توما الحوري الحلبي كاتب البطريرك اثناسيوس ونشرت ترجمتها بالايطليمانية في صفحة ١٢٢ في المجلد العاشر من الملحق بمجموعة المجمع (Mansi) الذي يخص الروم الملكيين

الينا مشرفنكم المسفرة عن صبح محيا حبكم القديم وتديبركم القويم المحرره في ١٧ آب وكان وصولها عن يد محبنا الصدوق البادري انطونيوس الورديان بجلب فتلقيناها بالترحاب وقابلناها بالاكرام ورفع الحجاب فاذا هي الدرّة المقبولة ووسيلة المحبة المأمولة ومحمدناه تقدست اسماءه على ما اسداه الينا من غزير نعمة الان وشكرنا تفانم حبكم الفائق السمو . وحسن نظام تديبركم الزايد التوفيق والغلو . الباحث عن جليلة الامور وحقايقها . كما هو من حق استفخاص رتبتمكم ووظيفتمكم ودقايقها . وحسبا يليق بمقام سعادتكم الذي اقامكم الله فيه وشرفكم بالفحص عن تدقيق ضوافيه . وقد اخبرتمونا عن حضرة اخينا البطريرك كبير كبيرلس المحترم انه قد عدل عن ما كان فيه وطلب الاتحاد بوثاق الصلح والسلام مع البيعة المقدسة حيث انه قدم قانون ايمانه على ايدي رسله الى مجمعكم المقدس ولدى حضرة الخبر الاعظم وطلب من جنابه التثبيت وانكم قد سررتم بذلك جداً لرجاء الخير الذي يصدر من تشبه رعاياه به . فكذلك نحن تفانم جبورنا بهذا من قبيل انه معلوم سيادتكم منذ زمان مديد وعصر قديم لم نزل نفرح لفرحكم ورتضي بما ترضونه وكلما هو مقبول لديكم فهو اجل اربنا لوجود الحب والاتفاق الجاري بيننا وبينكم .

هذا وقد استفهتم منا وطلبتم ان نخبركم عن كيفية تزلنا له سابقاً وباي وجه كان ذلك . فنعلم جنابكم العزيز ان ذلك كان بنجسة اسباب وهم الذين الجئونا ان نترك حقنا بغير اختيارنا .

الاول هو شدة المقاومات والمخاصات والاتتجاه الى الحكام والظالمين وزيادة الخسائر التي لم يعد لنا طاقة لاحتلالها .

الثاني حذراً من ظلم الرعايا والساوك معهم في مناهج الغير مقبولة من بيعة الله تعالى ولا من قوانين الاباء القديسين لاحتشاد اموالهم بطرائق محرمة ودفعا للحكام الذين ينتصرون لنا .

زهرة ورد

« يتحفنا حضرة الاب الفاضل الخوري بولس المنذرب م المرة بعد المرة ببند لطيفة او حوادث واقعة تكون لها لذتها وفائدتها . وهو اليوم يروي لنا حادثة جرت في خورنيته في حيفا القديمة او الزورا على اثر تدشين هيكل للقديسة تريبيا الطفل يسوع فيها . وكان قد سمى اعزه الله فجمع النفقات لبنائه فدفقت عليه بنوع موفق وسريع يشهد بما لقديسة العصر الحاضر من السلطة على القلوب .

وهو يوم اليوم ايضاً بانشاء اخوية على اسم هذه القديسة المحبوبة وقد وضع لهذه الغاية في كراس صار تحت الطبع ، كل ما يختص بهذه الاخوية كواجباتها ونعمها الروحية وفرضها ورتبة الاشتراك بها وما يتبع ذلك مما يدل على غيرته مع محبته لهذه القديسة الكريمة . فعسى ان تزيد حمايتها له موفقة جميع اعماله الى ما فيه مجد عروسها الالهي الطفل يسوع .

فبينما نحن نشكره على اتحافنا بالحادثة التي يرويها لنا اليوم نثبتها كما حدثت تاركين الحكم فيها لامنا الكنيسة المقدسة عمود الحق وقاعدته . »

في الثاني والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٩٣٥ كرس هيكل في حيفا العتيقة او الزورا على اسم القديسة تريبيا الطفل يسوع باحتفال خم . وقد زاده رونقاً وبهجة ان فرقة من الجيش الانكليزي كانت على المحطة بالقرب من الكنيسة تعزف بموسيقاها كل وقت القداس كأنها اتت خصيصاً لهذه الغاية . ولا عجب فان الله يمجّد قديسيه على هذه الارض الفانية ايضاً بوسائل لا نفهمها . نعم ان الموسيقى لم تكن تعزف لलगاية المذكورة انما كانت تعزف . . .

واما ما يزيد القديسة تريبيا الطفل يسوع مجداً وعظمة وبهاء فهو معجزة خارقة العادة جرت في مساء اليوم نفسه الذي تكرر هيكلها وعلى مقربة منه ، شهد بها الجمع الغفير وذُيلت بشهادة طبيبين خارجين عن الكنيسة من اشهر اطباء حيفا كما سترى .

وحقيقة الواقع ان الولد نصرالله بن مارون الصيداوي وعمره ثلاث سنوات دخل غرفة جده ، بينما كانت امه مشغولة في اعمال البيت ، واخذ انبوبة وجدها على الطاولة فيها من ٧ - ١٠ اقراص ديجيتلين (Digitaline) ظناً منه انها ملابس واكلها . واذا رآته امه ياكل قالت له ما هذا فقال لها : «بونبوننة يا ماما » فتركته مقتنعة بصحة ما قال .

وكان قد حان وقت الغذاء فاكل الولد بكل شهوة خلافاً لعادته . الا انه لم يكذب ينتهي حتى اغمي عليه . . . فلما رآته امه على هذه الحالة المفاجئة صُغقت من الحزن والخوف ونادت حالاً حاتها التي كانت دخلت عرضاً غرفة زوجها ورات انبوبة الديجيتلين مكسورة والاقراص التي كانت فيها مختفية . . . « وهي امراة فاضلة تحضر القداس وتتناول كل يوم » ففهمت حينئذ حالة الولد . وحالا دعني طبيبان للمعاينة فقررنا بعد الفحص الدقيق ان الولد تسمم ولا تقضي عليه الليلة بسلام . . . لا سيما وقد وقف نبضه ومضى عليه مدة دون ان يفتح عينيه او ينبس ببنت شفة . . . ولما راه ابوه على هذه الحالة دعا له طبيبين اخرين فكانت النتيجة اليأس وقطع الرجاء من الشفاء . . .

وعندما رأى ابوه ان لا امل بالشفاء ترك الاطباء الارضيين والتجأ الى مُمطرة الورود القديسة تريزا الطفل يسوع . وكان بين الحاضرين عنده في البيت احد الوجوه الذين حضروا الاحتفال بتسكريس هيكل القديسة تريزا . ومع المذكور صورة للقديسة كان قد كرسها سيادة راعينا الموقر غريغوريوس الحجار متروبوليت عكا وحيفا والناصره وسائر الجليل . فأخذها الوالد ووضعها على صدر ولده نصرالله وقال : « ايتها القديسة تريزا اني برغم ما قاله الاطباء اثق فيك كل الثقة ولي رجاء عظيم فيك فاشني ولدي هذا ! . . ان يسوع سيولد نهار غد وازيد ان يولد ابني هذا معه ! . . » وكل الحاضرين ايضاً طابوا معه بقلب واحد .

ففي الدقيقة ذاتها فتح الولد عينيه على مرأى الجميع وقال : « بدي حليب » فلخوفهم من ان تكون هذه اليقظة « فوقة الموت » اسرعوا باحضار الطبيب

حالا فقرر بعد الفحص : « ان الولد نجير لا خوف عليه . » وكانت صورة القديسة تريزا الا تزال على صدره .

وفي الساعة العاشرة من الليل حضر الطبيب الذي كان قد رأى الولد اولاً وخصه من جديد ونظر الى ابي الولد واكد له قائلاً : « ان ابنك قد نجحاً من الموت ! . . . » ولا تمل عن الفرح الذي شمل الجميع اذ ذاك . حينئذ قص عليه الوالد ما جرى وكيف انه بعد قطع كل امل بشفاائه التجأ الى القديسة المحبوبة تريزا الطفل يسوع . . . وكان الطبيب المذكور مسامحاً فقال له : « بالحق ان هذه عجيبة ! . . . »

والولد اليوم في الرابعة من العمر ينعم بصحة جيدة وكما رأي وهو لا يلبس ثوب القديسة المذكورة ، يهش الي وينادي بي باسمي ! . . . وقد اعطاني ابوه كتابة بخط يده كتبها باللغة الافرنسية مذيلة بامضائه وامضآ امراته وامضآ الطبيب المسلم « تميمي » والطبيب الثاني المدعو « هوفان » وهو بروطستاني المذهب . وقد حفظت النسخة المذكورة عندي لتسجيل في محلها احياءً لذكرى هذه العجيبة الحارقة . وقد عمل الوالد المذكور قطعة رخام صغيرة حفر عليها باللغة الافرنسية هذه الكلمات : « تذكراً لمعرفة الجميل نحو القديسة الصغيرة تريزا الطفل يسوع م . ن . ٢٣ - ١٢ - ٣٥ » والصقت بخط الكنيسة بالقرب من هيكل القديسة شاهداً ناطقاً بعجائبها . الاب يواض مندر

ب م

ثلاثة تورث ثلاثة

النشاط يورث الغنى ، والكسل يورث الفقر ، والشرة يورث المرض .

اهم اخبار الرهبانية

للنظر في الكتب الطقسية

في العاشر من ايلول المنصرم كتب سيادة ايينا العام الى غبطة بطريركنا الكلي الطوبى يستأذنه باعادة النظر في الكتب الطقسية فتنازل غبطته واجابه بتاريخ ١٨ منه بما يلي :

اولاً - بشأن اصلاح الكتب الطقسية . لقد سرنا كثيراً اقدامكم على هذا المشروع الخطير . ولذلك نجز لكم ان تؤلفوا لجنة من اولادنا الآباء الرهبان المتضلعين من اللغة اليونانية واللغة العربية على ان تعلموا لنا اسماء المعينين للمصادقة والتشجيع . ولا ينبغي ان الاخذ بطبع ما يكون جاهزاً من تلك الكتب لن يتم الا بعد اطلاعنا عليه لابدأ . ما يلزم من الملحوظات ولاقراره وتثبيته . اما بخصوص كتاب الليتورجيات فيقوم باعداده حضرة ولدنا الاب الفاضل افثيميوس سابا المحترم حسب التعليمات الخاصة التي ندلي اليه بها . والكتاب المشار اليه هو اول ما تجب العناية به ليحيى . متقناً كاملاً . ومنذ الآن نشني على همتكم ايها الابن العزيز من صميم فؤادنا الابوي وندعو لكم بالتوفيق في ذلك المشروع الحيوي

كيرلس التاسع

بطريرك انطاكية والاسكندرية واورشليم

وسائر المشرق

في ١٨ ايلول سنة ١٩٣٦

اللجنة المعنية

مؤلفة من الآباء يوسف سابا ، جورج غبريل ، كيرلس حداد ، اثناسيوس

حداد . وستعين لجنة في الصيف القادم لتطلع على اعمال اللجنة الداخلية .

اخبار شهر كانون الاول

عيد سيادة الاب العام : ليلة العيد قرعت الاجراس بمبشرة بمجاول عيد القديس نقولاوس العجائبي شفيح سيادة الاب العام . فدخل جمهور الرهبان في الدير والمدرسة الى الكنيسة للاحتفال بصلاة الغروب والاعرانية . وبعد نهاية الصلاة توجه الجمهور الى القاعة الكبرى لتهنئة سيادته بعيد شفيحه وقد تكلم سيادته عن فضائل القديس وشكر العموم لما اظروه من الحفاوة نحو شخصه المحبوب .

عيد الميلاد : تمت الاحتفالات بالعيد وقام جوق المدرسة بتزيم الغرض الالهي والذبيحة المقدسة على غاية ما يرام من الابهة والترتيب . وبعد نهاية القداس تبودت التهانى بين سيادة ابينا العام وجمهور الرهبان والكل يدعون للرهبانية بالتقدم والنجاح الروحي والزمني .

رياضة آخر السنة : التي حضره رئيس دير الراهبات الاب يوسف بهيت ب م في كنيسة الدير رياضة آخر السنة فحضرها جمهور الدير والمدرسة .

تعيينات

تعين حضرة الارثمنديريت الكسيوس شتوي ب م نائباً عاماً لسيادة المطران اغايبوس نعوم متروبوليت صور الكلي الوقار . وحضرة الابوين اثناسيوس قسيس ويوحنا عجيجي لخدمة الرعية في ابرشية حيفا . وحضرة الابوين يوليس خرياطي وغريغوريوس فرحات للمدرسة البطريركية . وحضرة الاب يوحنا داغر رئيساً للمدرسة الاسقفية في صيدا .

وانتقل الى دير الخالص نهائياً حضرة الاب الجليل الارثمنديريت يوحنا ابي حديد . وكذلك حضرة الاب الفاضل الخوري انطون خواجاب م .

المدرسة البطريركية

ابتداء السنة المدرسية . - لم يكن قد تقرر ان تستلم الرهبانية الخاضعية ادارة المدرسة البطريركية في بيروت الا في اواسط ايلول من سنة ١٩٣٥ واذ لم

يعلم الناس بالامر الا متأخراً جداً فقد كان الاقبال على المدرسة قليلاً في تلك السنة الغائرة . اما في هذه السنة ، وقد انتشر الخبر وتجلت ثقة الناس في الرهبانية باجمل مظاهرها ، فقد كان الاقبال على المدرسة مما يسر الحاطر ويؤذن بمهد تقدم ونجاح مطرد في المستقبل ان شاء الله . وقد بلغ عدد التلاميذ الداخلين في هذه السنة ٤٩ تلميذاً مقابل ٢٢ داخلياً في السنة الماضية ، وعدد الخارجين ١٤٣ مقابل ١١٥ . ومما زاد الاهالي رغبة في ارسال ابنائهم الى هذا المعهد العلمي ما احرزته المدرسة من النجاح الباهر في فحوص البكالوريا ، فقد نجح كل التلامذة المتقدمين باسمها فضربت بذلك قياس الفوز في تلك الفحوص . ومن ذلك ايضاً اهتمام الادارة بتسيير النظام والسهر على اخلاق الناشئة سهراً جعل لها في افواه الناس اطيب الاحدوثة واكسبها ثقة الجميع وثناءهم . وساعد كثيراً على الاقبال الى المدرسة البطريكية قيام حضرة رئيسها الفاضل الاب غريغوريوس حايك ب م بجولة في انحاء لبنان وسوريا فعرف الاهالي بنجاح المدرسة وصادف تشيخاً كبيراً من كرام الأُسَر اللبنانية والسورية . ولا ننسى طبعاً ان نضيف الى الاسباب المذكورة سعي آبائنا المخلصين وغيره الاصدقاء الاوفياء الذين قاموا بدعاية ترغيب واسعة ومحمودة . فالجميع جميعاً خالص شكرنا مع الرجاء بان يواصلوا نشر اسم المدرسة البطريكية التي تعتر بن نجبت قدماً من كبار الرجال المنتشرين في لبنان وسوريا وفلسطين ومصر والعراق وغيرها من البلدان ، وتفتخر دائماً بخدمة ابناء الوطن وغيرهم على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم .

نزول غبطة البطريك في صرحه وسفره الى القطر المصري

في ٧ كانون الاول قدم من دمشق غبطة الخبر الجليل كيرلس التاسع بطريكي انطاكية والاسكندرية واورشليم وسائر المشرق ، فنزل في صرحه البطريكي مع حاشيته الكريمة ، واقام خمسة ايام توجه في خلالها الى مقام المفوض السامي الكونت دي مارتيل للتسليم عليه واختلى به مدة ٣٥ دقيقة أتى فيها على ذكر شؤون لبنان وسوريا فكان فخامته يصغي اليه باهتمام شديد . ثم زاره

نخامة الكونت دي مارتيل في مقره البطريركي فاستقبل بالحفاوة اللائقة بقامه السامي . اما نخامة رئيس الجمهورية اللبنانية فاذا كان متوكل الصحة ولم يتمكن من زيارة غبطنه بنفسه فقد اوفد من قبله السيد جورج حيمري مدير غرفته فقبول بزيد الاكرام . وعلى اثر ذلك زار غبطنه نخامة الرئيس وتحدث معه مدة تزيد على ٤٥ دقيقة . وقد اقبل ايضاً لزيارة غبطنه بعض السادة الاساقفة ورؤساء الرهبانيات الشرقية وكثير من وجهاء الطائفة وغيرهم .

وفي ١٢ منه أبحر غبطنه مع حاشيته الكريمة قاصداً القطر المصري ، بينما جميع ابرائنه يدعون له بسفرة ميمونة على بركات الله وعود أحمد الى ربوع لبنان .

عيد صاحب السيادة نقولاوس نبعة مطران صيدا ودير القمر

الكلي الشرف والوقار

ما بزغت شمس الاحد الواقع في السادس من الشهر الحالي حتى سمعت أجراس كاتدرائية الروم الكاثوليك في صيدا تدوي في الانحاء البعيدة وتقرع قرعات متوالية وقد برزت تلك الكاتدرائية الجميلة وردهة الكنيسة والدار والمدرسة الاسقفية بحلة قشبية وكالها مزدانة باعلام الزينة والبهجة احتفاء بعيد القديس نقولاوس المجائي شفيع الكاتدرائية وسيادة الجبر الجليل راعي الابرشية الكلي الوقار . وفي الساعة التاسعة صباحاً احتفل سيادته بالقداس الالهى الجبري . وكانت الكنيسة على رحبها وسعتها غاصة بالجماهير من عموم الطوائف وموظفي الحكومة ووجهاء المدينة وكان جوق المدرسة يقوم بخدمة القداس ويصح بانعامه الشجية التي كان لها احسن تاثير ووقع في نفوس السامعين . وعند نهاية القداس خرج سيادته عائداً الى داره الاسقفية ينتهي الحفاوة والاهبة وما وصل الى قاعة الاستقبال حتى تقاطرت وفود المهنيين فقدمت اليهم المرطبات . وفي الساعة الثالثة بعد الظهر اكتظت باهة المدرسة الاسقفية بجماهير المدعوين حيث اقامت ادارة المدرسة حفلة مدرسية جميلة تناسب عيد راعي الابرشية الجليل . وقد اظهر

التلامذة مهارة واقتداراً في التمثيل والالقاء والالناشيد سواء كان في العربية ام في
الافرنسية بما دل على اهتمام ادارة المدرسة بطلابها لاحراز النجاح والتقدم المنشود
وقد ارفض الجمهور وكلهم السنة شكر على صاحب السيادة عميد المدرسة وعلى
ادارتها وهم يدعون لسيادته بطول البقاء ولمعهدهم العزيز باطراد الفلاح . . .

ويوم الاثنين الذي يلي العيد الواقع في السابع منه اقام سيادته مأدبة انيقة في
داره الاسقفية دعا اليها كلاً من سعادة محافظ المدينة والمستشار الاداري ونخبة
من موظفي الحكومة الاذاريين والعديلين والعسكريين فتبذلت فيها كؤوس
الود والولاء وقد انصرف جميعهم يثنون على طيب اخلاق سيادته ويطلبون له
الاعیاد العديدة المحفوفة بصفاء العيش والهناء .

في ٢١ - ١٢ - ٣٦
الاب يوحنا داغر ب م
رئيس المدرسة الاسقفية

عيد صاحب السيادة الكليمنتضوس معلوف مطران بانياس وتوابعا
السامي الوقار.

ما أذفت ساعة هذا العيد حتى استقبلها الجمهور ولا سيما ادارة مدرسة
الصبيان والبنات بغاية الفرح والحبور . فأقيمت الزينة بهذه المناسبة وأطلقت
الاسهم الارية مساء ابتهاجاً بالعيد . ومثّلت بحضور سيادته روايتان عربيتان
كانتا آية في التأثير والابداع. وقد ابتكتنا الحاضرين مراراً . وتخلّاهما قطع شعرية
ونثرية باللغتين العربية والفرنسية قوطعت مراراً بالتصفيق والابتهجان. وقد
تغني فيها بما لسيادته من الايادي البيضاء على الارشمية وما ازدان به شخصه
الكریم من طيب القلب ودماثة الاخلاق والسيرة الرضية والتفاني الجزيل .
فلسيادته اطيب تمنائنا البنوية مع دعائنا الى الله ان يطيل عمره ويأخذ بيده
الى كل فلاح لمجد الله الاعظم وخير النفوس الاكبر . الاب يوسف الشماس

فهرست

الجزء الاول كانون الثاني سنة ١٩٣٧

صفحة	
١	رسالة عامة
٣٣	رسالة الاب سابا كاتب بشأن المطران جومانوس آدم
٤١	ترجمة المرحوم جرجي بيطار
٥٧	سيرة المطران افثيميوس صيني
٧٣	زهرة ورد
٥٦	متفرقات : فكر في الحياة ٣٢ - ملازمات الحياة
٧٥	- ثلاثة تورث ثلاثة
٧٦	اخبار رهبانية
